
اجاثا كريستي
مأساة ذات ٣ فصول

أجاثا كريستي

- الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى ١٠٣ لغات
- بيع من كتبها أكثر من ٦٥٠ مليون نسخة باللغة الانجليزية وحدها .

كاتبة روايات بوليسية ، ولدت في جنوب غرب انجلترا الأب أميركي وأم إنجليزية ، لكنها تقول «إني إنجليزية» ، تزوجت عام ١٩١٤ من الكولونيل ارشيبالد كريستي ، أنجبت منه إبنة متزوجة ، انفصلت عنه العام ١٩٢٨ ثم تزوجت في العام ١٩٣٠ من المهندس الأثري البريطاني ماكس مالوان ، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين ، مما نصّبها ملكة عليهم جميعا ، فرواياتها كبيرة متكاملة ، فيها عشرات الشخصيات الحيّة التي يشعر بها الإنسان دائما ، لا تترك شخصية تظهر في رواية لها دون أن توضح كل معالمها في لمسات سريعة طريفة مهما كان دور هذه الشخصية في الرواية ، كما تميزت أيضا بان أشخاص رواياتها أشخاص عاديون ، ولكنهم تعرضوا ـ في الرواية ـ لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان ، كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها ، على عكس ما اتبعه الآخرون ، إنها كاتبة فاضلة ليس في كتاباتها ما يخجل الآباء أن يطلع عليه الأبناء ، ولم تهدف إلى الإثارة ، ولا تلجا إليها إلا إذا كان أبطال الرواية شبانا يطاردون الجواسيس او يطاردون عصابات خطيرة ، كما تضمَّنت رواياتها اهدافا إنسانية فحواها أن (الجريمة لا تفيد) وأن الخير هو المنتصر في النهاية .

الفصل الأول

الشك

-١-

كان مستر "ساترزويت" جالسا في شرفة البيت الريفي الذى يسمى "عش الغراب"، يراقب مضيفه سير "تشارلز كارتر هوايت" وهو يتسلق الطريق الصاعد من شاطىء البحر .. وكان عش الغراب بيتا أبيض اللون لا يوحي منظره الخارجي بضخامة حجمه الحقيقي ، واستمد اسمه من ذلك المكان المرتفع الذي يطل على ميناء "لوماوث" .. يبعد " عش الغراب " مسافة ميل من المدينة ، ويتعرج الطريق الصاعد من البحر ويقطعه الإنسان سيرا على الأقدام في سبع دقائق ، وهو الممر الذي كان يسير فيه الآن سير "تشارلز"..

وسير "تشارلز "رجل قوي البنية في منتصف العمر لفحته الشمس ، يميل بعض الشيء في مشيته ، تبدو يداه نصف مغلقتين في أثناء المشي . ويخيل للرائي عندما يراه لأول وهلة أنه بحار .. أما مستر " ساترز ويت " فهو رجل ضئيل الحجم ، من عشاق الفن والمسرح ، توجه إليه الدعوة دائما في الحفلات الاجتماعية وإن كان اسمه يأتي في ذيل قائمة المدعوين ، وهو على قدر كبير من الذكاء وقوة الملاحظة للناس والأشياء .. همس "ساترز ويت "لنفسه : " لم يكن ذلك يخطر ببالي ..حقا لم أفكر في ذلك ." أدار بصره نحو الرجل الذي جلس على المقعد المجاور .وكان شكله يكشف عن مهنته كطبيب ناجح في شارع "هارلي" .كان سير "بارثلوميو سترينج "طبيبا إخصائيا معروفا في الاضطرابات العصبية ، وكان قد تلقى الدعوة لحضور حفل عيد الميلاد .. قال الطبيب :

– ما الذي لم تفكر فيه ؟

– قال " ساترزويت"باسما :

ـ لم أفكرفي أن سير "تشارلز" سوف يبقى في المنفى طويلا . ضحك الطبيب قائلا :

– أنا أيضا لم أكن أتوقع ذلك .. لقد عرفت "تشارلز" منذ كان صبيا .. وكنا في "اكسفورد" معا .. كان كما عرفته دائما .، ممثلا أفضل في الحياة الخاصة عنه فوق خشبة المسرح .. يمثل دائما .. لأن تلك هي طبيعته ..وهو يحب أن يغير الدور الذي يلعبه بين الحين والحين .. تقاعد من المسرح منذ عامين وقال : إنه يرغب في الحياة البسيطة في الريف بعيدا عن العالم .. جاء إلى هنا وبنى هذا البيت .. وزوده بثلاثة حمامات وكل أساليب الراحة من حجرات مزودة بالماء الساخن والبارد والتكييف المركزي .. ظننت أنه لن يطيق هذه الحياة طويلا ..فهو إنسان يحتاج إلى جمهور ..جمع حوله بعض البحارة المتقاعدين ، وحفنة من النساء العجائز وراعي كنيسة .. ظننت أن عشقه للبحر لن يستمر أكثر من ستة أشهر وأنه سرعان ما يحن إلى التغيير فيذهب إلى "مونت كارلو" أو أحد الأماكن الجبلية .. فأنا أعرف أن "تشارلز" متقلب الأطوار . سكت الطبيب وهو ينظر إلى الرجل الصاعد من أسفل وينتظر أن ينضم إليهما خلال دقيقة أو دقيقتين ثم استرسل يقول :

– على أي حال ، كنا مخطئين إذ يبدو أن الحياة البسيطة استهوته . قال مستر" ساترزويت ":

ـ كثيرا ما يساء الحكم على الرجل الذي يجعل الدراما حياته ..لا يأخذ الإنسان اهتماماته على محمل الجد. أومأ الطبيب برأسه مؤمنا ، وصعد سير "تشارلز" إلى الشرفة في تلك اللحظة قائلا:

–تفوق "ميرابل" على نفسه اليوم .. كان يجب أن تكون معي يا "ساترزويت" .. هز"ساترزويت رأسه نفيا .. فلم يكن يحب ركوب البحر .. وكان يرقب القارب "ميرابل " من نافذة حجرته في الصباح وهو يواجه الأمواج العاتية سعيدا وهو آمن على البر. طلب سير "تشارلز" كئوس الشراب ثم قال للطبيب:

– وأنت يا "تولي" . كان ينبغي أن تأتي معي .. ألا تنصح مرضاك بتغيير الجو وركوب البحر ؟ .ال سير "بارثلوميو " ضاحكا :

– من مزايا الطبيب أنه غير مطالب باتباع النصح الذي يسديه لمرضاه .

ضحك سير "تشارلز " وهو غير متنبه إلى أنه لا يزال يقوم بدور البحار ،

وسأله الطبيب عما إذا كان قد قام بالرحلة وحده .

وقال "سير "تشارلز ":

– كلا .. كانت معي الفتاة "إيج" .. قال" ساترزويت " بدهشة :

مس "ليتون جور"؟ هل تعرف شيئا عن ركوب القوارب ؟

– كنت بجوارها كالصبي المبتدئ ولكنني أتقدم بفضلها . تتابعت الخواطر بسرعة في ذهن مستر "ساترزويت "وهو يفكر في الخطر الذي يتهدد الرجل عندما يكون في منتصف العمر من شابة صغيرة .. دخلت في تلك اللحظة سيدة طويلة شديدة القبح ، وقال لها سير "تشارلز ":

صباح الخير يا مس "ميلراي" .

–صباح الخير يا سير "تشارلز " .. صباح الخير ياسادة ..هذه قائمة طعام العشاء اليوم .. هل تريد تغيير شيء منها ؟ تأمل سير "تشارلز "القائمة بسرور ثم قال:

– كلا .. سوف يصل الجميع في قطار الرابعة والنصف .

– أعطيت الأوامر بالفعل لـ"هولجيت " .. بعد إذنك ياسير "تشارلز".. ربما كان من الأفضل أن أتناول العشاء معكم الليلة رغم دهشة سير "تشارلز "إلا أنه أجابها بقوله :

– هذا يسعدني يا مس "مليراي" ولكن .... قالت مس "ميلراي" بهدوء :

– إذا لم أنضم إليكم يكون العدد ١٣

وقد يتشاءم البعض . انسحبت مس "ميلراي "وعلى شفتيها ابتسامة خفيفة ، وقال سير "تشالز":

– هذه السيدة ممتازة للغاية .وتدير البيت كالساعة الدقيقة .ومع هذا فقد أخطر تني أنها سوف تتركنا لرعاية أمها المريضة ..أنا لا أصدقها .. لابد من وجود سبب –آخر. قال سير "بارثلوميو ":

– هذا محتمل ..فقد بدأ الناس يتكلمون .

– يتحدثون عن أي شيء ..؟

– أنت تعرف يا عزيزي "تشارلز "ما يدور حوله الحديث .

– تعني وجود علاقة بيني وبينها ؟ مع ذلك الوجه وفي سنها ؟

– ربما كان عمرها أقل من الخمسين .

– ولكن .. ألم تنظر إلى وجهها يا "تولي" ؟ ليس هذا وجه امرأة ، ولا أظن إنسانا يرضى بعلاقة غرامية مع سيدة لها مثل هذا الوجه .

وقال "ساترزويت" حتى يغير الطبيب دفة الحديث :

– من الذي سيأتي بعد الظهر ؟

– أولا.. أنجي"..

–" أنجيلا ساتكليف" ؟ هذا طيب . مال مستر (ساترزويت) بمقعده قليلا إلى الأمام ليعرف قائمة المدعوين للحفل ، وكانت (أنجيلا ساتكليف) ممثلة معروفة رغم أنها تجاوزت سن الشباب الا أنها مشهورة بسحرها وفكاهتها وقال سير " تشارلز":

وهناك أيضا مستر ومسز – (داكريس) . همس مستر " ساترزويت " لنفسه مرة أخرى :

– مسز (داكريس) صاحبة شركة " أمبروزين " للأزياء ، وزوجها الكابتن (داكريس) الذي يقضي معظم وقته في سباق الخيل وكانت له في فترة من الفترات سمعة غير طيبة ، وقال سير "تشارلز":

– وهناك أيضا (أنتوني أستور) الكاتبة المسرحية .

قال "ساترزويت :

ـ مؤلفة رواية " طريق ذو اتجاه واحد " شاهدتها مرتين وأحدثت ضجة كبرى ..

كان " ساترزويت " يريد أن يثبت بذلك أنه يعرف أن المؤلفة سيدة ، وعاد سير "تشارلز" يقول :

– هذا صحيح .. لقد نسيت اسمها الحقيقي.

– " ويلز" على ما أعتقد . لم ألتق بها سوى مرة واحدة وطلبت منها الحضور من أجل "أنجيلا " .. هذه قائمة المدعوين . وسأل الطبيب :

– وماذا بالنسبة للأشخاص المحليين ؟

– آه .. هناك "بابنجتون "راعي الكنيسة وزوجته .. وهو رجل طيب وزوجته

سيدة لطيفة للغاية .. تزودني بمعلومات مفيدة عن فلاحة الحدائق .. وكذلك ليدي "ماري" وايج"وهناك أيضا شاب يدعى "ماندرز " .. وهو صحفي .. شاب وسيم ..

قال "ساترزويت " مستعرضا عدد المدعوين :

– مس " ساتكليف .. واحد .. مستر ومسز " داكريس".. ثلاثة .. "أنتوني أستور " ..أربعة .. ليدي "ماري " وابنتها .. ستة ، راعي الكنيسة وزوجته .. ثمانية .. الصحفي الشاب ..تسعة .. وثلاثتنا يكون العدد اثني عشر .. إما أن تكون أنت أومس "ميلراي" أخطأ في العدد ياسير "تشارلز ".

– لايمكن أن تخطىء مس "ميلراي" .. ياإلهي .. إنه ذلك الرجل البلجيكي الصغير الحجم .. "هيركيول بوارو". قال "ساترزويت ":

– المخبر الخاص ؟ لقد التقيت به من قبل ..

– إنه شخصية متميزة .. وقال سير " بارثلوميو":

–سمعت عنه الشيء الكثير .. ألم يتقاعد منذ بضع سنوات ؟حسن ياسير "تشارلز" ..أرجو ألا تصادفنا جريمة قتل في هذا الأسبوع .

– لماذا ؟ لأن معنا مخبر ا خاصا في البيت ؟ قال الطبيب :

–هكذا تقع الأحداث للناس .. هناك طراز من الناس تقع له الأحداث حيثما ذهب .. تغرق السفينة التي يركبها أو تقابله عصابة من المجرمين ..هكذا الحال بالنسبة لصديقك " هيركيول بوارو" .. إنه لا يسعى إلى الجريمة لأن الجريمة هي التي تلاحقه حيثما ذهب . قال مستر "ساترزويت ":

– في هذه الحالة ربما كان من حسن الحظ أن تكون مس (ميلراي) معنا في العشاء ، حتى لا يكون عددنا ثلاثة عشر ..

قال سير "تشارلز" ضاحكا :

– حسن ..لك أن تستمتع بجريمتك (ياتولي) إذا كنت تواقا إلى مشاهدة جريمة قتل. ولكن بشرط واحد ..ألاأكون أنا الجثة.. انفجر سير"تشارلز " ضاحكا ، وانسحب الرجال الثلاثة إلى داخل البيت .

– ٢ –

كان الاهتمام الرئيسي لمستر "ساترزويت"في الحياة هو دراسة الأشخاص ،

وكان أغلب اهتمامه بالنساء ، حيث كانت سيدات كثيرات يبحن له بأسرارهن ، إلا أن حظه مع المرأة لم يكن كبيرا مما كان يملأ نفسه مرارة .. كان "ساترزويت" يجلس في تلك الليلة بالغرفة الكبيرة المجاورة للشرفة ، والتي حولتها إحدى مؤسسات الديكور إلى ما يشبه كابينة فاخرة لإحدى السفن . وكان اهتمامه موجها إلى صبغة شعر (سينثيا داكريس) اللافتة للنظر. وحاجبيها الرفيعين ورموش عينيها السوداء ، وهمس لنفسه -هذه سيدة على درجة عالية من الذكاء.. كان يعني عقلها لا جسمها .. انتقلت نظرات "ساترزويت "الى سير "تشارلز" الذي كان يمزج الشراب وهو يتبادل الحديث مع "أنجيلا ساتكليف" وهي سيدة طويلة رمادية الشعر ذات فم ينم عن الخبث. وعينين جميلتين .. وكان "داكريس " يتحدث مع " بارثوميوسترينج" .كان يتحدث بلهجة متعالية ويبدو كالثعلب الماكر .. وكانت مس " ويلز "تجلس بجوار "ساترزويت " .وكانت مس "ويلز " الكاتبة المسرحية طويلة نحيفة ذات شعر ناعم مموج وترتدي نظارة مثبتة بالأنف وترتدي ثوبا من الشيفون الأخضر ، وكان صوتها مرتفعا غير متميزعندما قالت:

– ذهبت إلى جنوب (فرنسا) ولكنني لم أستمتع كثيرا بالرحلة فالناس هناك ليسوا بذوي ود.. ولكن الرحلة تفيد عملي ولا شك ..

فكر "ساترزويت "مسكينة .. يباعد النجاح بينها وبين الاستقرار في بيتها في "بورنماوث" .ثم لاحظ "ساترزويت " أن تلكما العينين الزرقاوين المختفيتين وراء النظارة تكشفان عن ذكاء حاد .. خيل إليه ومس (ويلز) تنظر إليه أنها تدرس أعماق نفسه .. كان سير (تشارلز) يصب الشراب ، وقال مستر " ساترزويت " للكاتبة المسرحية :

–اسمحي لي أن آتيك بكأس من الشراب . قهقهت مس " ويلز"قائلة :

– لامانع .فتح الباب في تلك اللحظة وأعلن كبير الخدم وصول ليدي "ماري ليتون جور " ومستر ومسز "بابنجتون " ومس "ليتون جور " ..

قدم "ساترزويت "الكأس لمس "ويلز"ثم مشى ليكون بالقرب من ليدي (ماري ليتون جور) حيث كان يشعر بالضعف دائما أمام حملة الألقاب .. كان زوجها

قد مات تاركا لها طفلة في الثالثة ، وجاءت إلى (لوماوث) لتقيم مع ابنتها في كوخ صغير.. كانت امرأة طويلة نحيفة تبدو أكبر سنا من عمرها الذي لا يتجاوز الخامسة والخمسين . وكانت مولعة بابنتها ولكنها شديدة الخوف عليها ..

أما " هرميون ليتون جور "فقدكانت تعرف لسبب غامض باسم "ايج " قليلة الشبه بأمها ، تتميز بالحيوية الشديدة ، ورغم أنها ليست جميلة إلا أنها تتميز بجاذبية لاتنكر كانت تتبادل الحديث مع "أوليفر ما ندرز "الذي وصل لتوه ، وسمعها تقول للشاب :

–لا أدري لماذا أصبحت تمل ركوب القوارب رغم أنك كنت تحبها ..

– "ايج"يا عزيزتي .. إن الإنسان يكبر .

كان شابا وسيما في حوالي الخامسة والعشرين . خيل لـ"ساترزويت "أن لهجته تشوبها لكنة أجنبية .. كان ثمة شخص آخر يراقب "أوليفر ماندرز" . رجل ضئيل الحجم بيضاوي الرأس له شارب أجنبي الطابع .. مسيو"هيركيول بوارو".. خيل لـ"ساترزويت"أن البلجيكي يبالغ في إظهار نفسه بمظهر الأجنبي وكأنما كانت عيناه تقولان له :هل تتوقع أن أكون المهرج ؟أن أمثل دور الملهاة لكم؟ سوف يكون الأمر كما تحبون . لم يعد بريق هناك في عيني " بوارو" الآن وإنما كان يبدو جادا ميالا للحزن .. اقترب الأب "بابنجتون"لينضم إلى ليدي "ماري" ومستر "ساترزويت "وكان القس في الستين من عمره ، له عينان رقيقتان وتبدو عليه الطيبة والرقة ، وقال لمستر "ساترزويت " :

– نحن محظوظون حقا لوجود سير "تشارلز"بيننا .. لقد كان شديد الكرم.إنه جار يسعد به الإنسان .أعتقد أن ليدي "ماري " تشاركني هذا الرأي ...

ابتسمت ليدي " ماري" قائلة :

–أنا أحبه حبا كبيرا .. لم يفسده النجاح وهو يبدو كالطفل الوديع .

اقتربت خادمة المائدة حاملة صينية عليها كئوس الشراب وقالت "ايج " التي كانت تحمل كأسا في يدها :

– تستطيعين أن تأخذ ي كأسا يا مامي . كأسا واحدة ! قالت لها "ليدي

ماري " بحلم :

– شكراً لك يا عزيزتي

قال مستر "بابنجتون " :

– أعتقد أن زوجتي سوف تسمح لي بتناول كأس .

بينما كان القس يضحك ضحكته الرقيقة اتجه "ساترزويت " ببصره نحو مسز "بابنجتون" التي كانت تتبادل حديثا جادا مع "سير" تشارلز "عن السماد .. كانت مسز "بابنجتون "سيدة ضخمة غير معنية بثيابها ، ولكنها كما قال " تشارلز كارتر هوايت " : سيدة لطيفة .

قالت "ليدي ماري " وهي تميل قليلا إلى الأمام :

– ولكن من تلك السيدة التي كنت تتحدث معها عند دخول –صاحبة الثوب الأخضر ؟

–إنها "أنتوني أستور " الكاتبة المسرحية .

–ماذا تقول ؟ تلك السيدة الهزيلة ؟ تمالكت نفسها وقالت : كم أنا فظيعة .. ولكنها لا تبدو – أعني أن مظهرها يوحي بأنها رئيسة ممرضات .. ابتسم "ساترزويت " ابتسامة خفيفة وهو يفكر في الوصف الدقيق الذي قالته ليدي " ماري" ونظر " ساترزويت "إلى الأب " بابنجتون " الذى كان يتجول في الحجرة بخطا حذرة تبعا لضعف بصره .. تجرع القس جرعة من الكأس التي يحملها وسعل سعلة خفيفة ..ربما لأنه لم يتعود على شرب الشراب ونظر إليه "ساترزويت " بسرور .. وتجرع القس جرعة أخرى وقد تصلب وجهه بعض الشيء وقال وهو ينظر الى "ليدي ماري " :

–أليست هذه هي الليدي الجالسة هناك .. أوه.. ارتفعت يده إلى حلقه .. ودوى صوت "ايج ليتون جور " في الحجرة قائلة :

–"أوليفر"..أنت يا " شيلوك" المراوغ ..

همس " ساترزويت " لنفسه : بالطبع .. إنه ليس أجنبيا .. إنه يهودي ! كان الشابان يمثلان زوجا متجانسا .. كلاهما شاب ووسيم .. ولا يكفان عن الشجار أيضا – وهما دائما في أتم صحة .. اجتذب انتباه " ساترزويت "

صوت من جانبه ، كان مستر " بابنجتون " قد وقف على قدميه وهو يترنح في مشيته ، وكان وجهه متقلصا . كان صوت " ايج" هو الذي نبه الحاضرين في الحجرة ، رغم أن ليدي "ماري " كانت قد وقفت ومدت يدها لتساعد القس .

وقالت " ايج" بفزع :

–انظروا .. مستر "بابنجتون" مريض . تقدم سير "بارثلوميو سترينج " بسرعة نحو القس وساعده في الوصول إلى أريكة موضوعة في جانب الحجرة، والتف حولهما الآخرون كل يبدي استعداده للمساعدة .. رفع "سترينج " قامته بعد دقيقتين ، وقال بصوت أجوف :

–أنا آسف .. لقد مات ..

-٣-

دس سير "تشارلز " رأسه من خلال الباب قائلا :

– هل تسمح بالمجيء إلى هنا لحظة يا "ساترزويت "؟

مضت ساعة ونصف الساعة ، وعم السلام بعد الاضطراب صحبت ليدي "ماري " مسز "بابنجتون"إلى "الأبرشية " بينما قامت مس " ميلراي" بإجراء الاتصالات التليفونية اللازمة ، ووصل الطبيب المحلي ليباشر إجراءاته ..وتم تقديم عشاء خفيف انسحب على أثره الجميع إلى حجراتهم ..وكان "ساترزويت " في غرفته عندما طلب منه سير "تشارلز" المجيء إلى الغرفة المشكلة على شكل كابينة في إحدى السفن ..كان الشخص الوحيد الموجود في الغرفة هو "بارثلوميو سترينج " وأومأ الطبيب برأسه مرحبا وهو يقول :

–الرجل المناسب .. نستطيع أن نشرك " ساترزويت " معنا في الأمر فهو رجل يعرف الحياة .

جلس "ساترزويت " على مقعد مجاور للطبيب بينما كان سير "تشارلز " يذرع الغرفة جيئة وذهابا ، وقال الطبيب :

– ليس سير " تشارلز " مرتاحا لما حدث .. أعني موت "بابنجتون " العجوز .

تعجب "ساترزويت " لما يسمعه ، فلم يكن هناك أحد يشعر بالارتياح لماحدث ، وأدرك أن "سترينج " يقصد معنى أخر ، وقال "ساترزويت" :

– لقد كان الأمر مثيرا للأسى ولا شك ..

– قال الطبيب :

ـ نعم .. كان مؤلما .. توقف "كارتهوايت" عن المشي وقال :

– هل رأيت أحدا يموت بمثل هذه الطريقة من قبل يا "تولي"؟ قال الطبيب مفكرا :

– كلا ..ثم أردف بعد لحظة صمت :ولكن .. لم أر في حياتي عددا كبيرا من الوفيات كما تظن .. أنا إخصائي في الأعصاب ومهمتي أن أبقي على الناس أحياء حتى أحقق لنفسي دخلا طيبا .. أما (ماك دوجال) فقد رأى حالات وفيات أكثر مني بكثير .. كان " ماك دوجال" هو كبير الأطباء في "لوماوث" الذي استدعته مس (ميلراي) ، وقال سير (بارثلوميو) :

لم ير (ماك دوجال) هذا الرجل وهو يموت .. كان ميتا عند وصوله ..لم يكن أمامه سوى ما نخبره به .. قال إن العجوز أصيب بنوبة مفاجئة ..كلام لايعني شيئا على الإطلاق ومع كل فقد كان "بابنجتون" عجوزا ولم تكن صحته على مايرام ، أخبرتنا زوجته أنه كان معتل الصحة في الفترة الأخيرة. وربما كان يشكو من ضعف غير معروف .

سأل سير " تشارلز " باهتمام : أكانت النوبة التي أصيب بها "بابنجتون" هي النوبة النمطية ؟

نظر الطبيب إلى سير "تشارلز " بدهشة وهو يقول :

–فيم تشتبه يا " تشارلز "؟انتحار .. جريمة قتل .. من الذي يفكر في قتل رجل عجوز مسالم .. ولكن هناك احتمالا في تصوري ... أن يكون "بابنجتون" فكر في قتل نفسه .

– وما الدافع ؟

قال الطبيب برقة :

– كيف نستطيع أن نعرف أسرا ر العقل البشري ؟ إنه مجرد افتراض .. قد يكون القس العجوز عرف أنه مصاب بداء عضال لا أمل في الشفاء منه ..مثل السرطان .. وربما أراد أن يوفر على زوجه آلام مراقبته وهو يعاني

لفترة طويلة من ذلك المرض . هذا مجرد افتراض بالطبع .. ولكن لا يوجد ثمة سبب في الواقع يجعل "بابنجتون "يفكر في قتل نفسه .قال "سير "تشارلز ":

–لم أكن أفكر في شيء كالانتحار .

ضحك "بارثلوميو سترينج" ضحكة خفيفة وهو يقول :

– أنت لا تفكر في الاحتمالات .. إنما تفكر في الإثارة .. سم جديد غير معروف دسه أحدهم في الشراب .

هزسير ـ (تشارلز) رأسه وقال :

– لست أعني ذلك يا (تولي) .. وتذكر أنني أنا الذي أعددت الشراب بنفسي

– هل تقصد نوبة من جنون القتل المفاجىء .. أعتقد أن الاعراض في مثل هذه الحالة تتأخر بعض الوقت . ولكننا كدنا نموت جميعاً قبل حلول الصباح

قاطعه سير " تشارلز " قائلا بعصبية :

– اللعنة .. ولكنني لا أمزح .

– وأنا كذلك لا أمزح .

تغير صوت الطبيب وأصبح جادا وهو يقول :

– أنا لا أمزح بالنسبة لموت "بابنجتون " .. ولكنني أمزح بالنسبة لافتراضاتك يا " تشارلز "– حسن – لأنني لا أريد أن يتسبب تفكيرك في الضرر .

قال سير (تشارلز) بدهشة :

ـ الضرر ؟

– ربما كنت تفهم ما أعنيه يا مستر " ساترزويت " ؟ قال "ساترزويت ":

– أعتقد أنني أستطيع أن أخمن .

استرسل "بارثلوميو " قائلا :

–ألا ترى يا " تشارلز " أن شكوكك هذه قد تكون ضارة ؟ هذه الأشياء تنتشر وسوف تسبب الألم لمسز " بابنجتون ". سريان الإشاعات يستمر ولا شيء يوقفه .. ألا ترى ما يترتب على ذلك من نتائج ؟

ظهرت علامات الحيرة على وجه الممثل وقال :

– لم أفكر في الأمر من هذه الزاوية .. أنت تطلق لخيالك العنان يا سير

"تشارلز".. ولكن هل تصدق حقا أن أي إنسان يمكن أن يفكر في قتل رجل مسالم عجوز كهذا ؟

- لا أظن .. أنها فكرة سخيفة حقا .. أنا آسف يا "تولي". ولكنني رأيت ثمة خطأ.. خطأ لا أدري حقيقته تماما.. سعل ساترزويت "سعلة خفيفة ثم قال :

- هل تسمحون لي باقتراح ؟ أصيب مستر " بابنجتون" بالمرض بعد دقائق معدودة من دخوله هذا المكان وبعد شرب الشراب .. لقد لاحظت بالفعل تصلب وجهه وهو يشرب .. تخيلت أن ذلك راجع إلى عدم تعوده على طعم الشراب ، ولكن لنفترض أن اقتراح سير " بارثوميو" صحيح . إن مستر " بابنحتون" كانت لديه بعض الأسباب للانتحار .. أعتقد أن هذا احتمال مقبول ، بينما تبدو فكرة ارتكاب جريمة قتل أمرا مستبعدا .. وأشعر أنه من الممكن أن يكون القس هو الذي وضع لنفسه شيئا في الشراب دون أن يراه أحد .. إنني أرى كل شيء في هذه الحجرة باق كما هو لم تمسسه يد .. وكئوس الشراب موجودة حيث كانت .. هذه كأس مستر " بابنجتون" .. أعرفها لأنني كنت جالسا هنا أتحدث معه .. أقترح أن يأخذ سير "بارثوميو" الكأس ويحللها - يمكن فعل ذلك بهدوء ودون أن يثير أي لغط . وقف سير" بارثوميو" وأمسك الكأس قائلا :

- أنت على حق .. وسوف أسليك يا (تشارلز) ، حيث أراهنك بعشرة جنيهات مقابل جنيه واحد إنه لا يوجد في هذه الكأس سوى مزيج من الشراب

قال سير" تشارلز" :

- وأنا قبلت الرهان .

ابتسم الممثل ثم أضاف : هل تعرف يا" تولي" أنك مسئول جزئياً عن شطحات خيالي ؟

-أنا ؟

- نعم .. قلت : إن الجريمة تتبع ذلك الرجل " هيركيول بوارو" ما كان يصل حتى حدثت حالة وفاة ومن ثم اتجهت أفكاري في الحال نحو الجريمة .. ما رأيك يا (تولي) .. هل نسأله رأيه في الموضوع ؟

قال " ساترزويت" بصوت منخفض : لا تستطيع أن تطلب من المغني المحترف أن يغني .. كما

- لا تستطيع أن تطلب من المخبر الخاص أن يبحث عن الجريمة ..

سمعت في تلك اللحظة طرقة خفيفة على الباب ، ودخل "هيركيول بوارو" معتذرا لمقاطعة حديثهم ، وقال لسير (تشارلز) :

- شكرا لك .. قلما أتناول الشراب .. لو كان لديك بعض من العصير ...

لم يكن العصير من المشروبات التى يضمها بار سير " تشارلز" . وبعد جلوس ضيفه دخل الممثل فى الموضوع قائلا :

- كنا نتحدث عنك يا مسيو " بوارو" . وعما حدث الليلة . هل تظن أن خطأ ما قد وقع ؟

رفع (بوارو) حاجبيه دهشة وقال :

-خطأ ؟ ما لذى تقصد بالخطأ ؟ قال " بارثوميو" سترينج ":

- يعتقد صديقي أن " بابنجتون " قد قتل .

- وما رأيك أنت ؟

- نريد أن نعرف رأيك أولا ..

فكر (بوارو) قليلا ثم قال :

- أصيب الرجل بالمرض فجأة .. كان المرض مفاجئا حقا ..

شرح " ساترزويت " نظرية الانتحار والاقتراح الذي عرضه بتحليل كأس الشراب ، وأومأ (بوارو) برأسه مؤمنا وقال :

- على أي حال ليس في ذلك ثمة ضرر .. . وبصفتي خبيراً في الطبيعة البشرية ، أستطيع أن أحكم أنه ليس لأي إنسان مصلحة في التخلص من رجل عجوز مسالم .. كما أن فكرة الانتحار لا تروقني .. وعلى أية حال سوف يخبرنا تحليل كأس الشراب عن هذه الطريقة أو تلك ..

- وما هي في رأيك النتيجة التي سيسفر عنها التحليل ؟

هز (بوارو) كتفيه وقال :

- أنا ؟ أستطيع أن أخمن فقط . وفي رأيي أن التحليل سوف يثبت أن

الكأس فيها بقايا شراب من أجود صنف. انحنى لسير "تشارلز": إن دس السم في كأس موضوعة بين مجموعة من الكئوس أمر بالغ الصعوبة .. ولو أن هذا القس العجوز الوديع أراد الانتحار، ماكان ليفعل ذلك في حفل، لأن ذلك يعني الافتقار إلى الذوق تجاه الآخرين ، ومن رأيي أن (بابنجتون) رجل يقدر المسؤولية .. هذا هو رأيي ..

خيم الصمت هنيهة، وتنهد سير "تشارلز" بعمق ثم فتح إحدى النوافذ وتطلع إلى الخارج قائلا :

– تحركت الرياح بعض الشيء ..

ونظر إليه (ساترزويت) باهتمام ، لقد عاد الممثل إلى تمثيل دور البحار..

– ٤ –

عندما التقت "ايج ليتون جور" بمستر "ساترزويت" على رصيف الميناء سألته عن رأيه فيماحدث، سألها بدوره عما إذا كان سير (تشارلز) هوالذى أدخل الفكرة في رأسها ، وأكدت له أن الفكرة كانت في ذهنها منذ البداية ، ودللت على ذلك بالشهادة التي أدلى بها الدكتور (ماك دوجال) في جلسة التحقيق حيث كان بادي الارتباك وأفرط في استخدام التعبيرات الطبية ولم يقل إن الوفاة حدثت لأسباب طبيعية ، وقال "ساترزويت" لم يكن في كأس الشراب سوى خليط من أنواع مختلفة .

– ومع هذا فلدي شعور أن هناك شيئا غير طبيعي ..

حول مستر "ساترزويت "دفة الحديث نحو (أوليفر ما ندرز) وسأل (ايج) :

– أليس "أوليفر ماندرز "صديقك ؟

– بلى هو صديقي ولكننا أصبحنا نختلف معظم الوقت . لقد ذهب ليعمل في مكتب عمه في المدينة .. وهو يتحدث دائما عن رغبته في العمل بالصحافة ولكنني لا أعتقد أنه جاد .. "أوليفر" يسعى إلى الثراء ..

أعربت "ايج" بعد ذلك عن أسفها لموت القس العجوز الوديع ، وقالت إنها تؤمن بالمسيحية ولهذا فهي لاتستطيع أن تكون شيوعية مثل "أوليفر"، ثم عادت تقول إن مستر ومسز "بابنجتون" لم يكونا يحبان التدخل في عقيدة

الآخرين ، وعندما بدأت تتحدث عن ابنهما "روبين" أعرب مستر "ساترزويت" عن دهشته قائلا :

– كان "روبين "يعيش في الهند حيث لقي حتفه . لهذا أتخيل أن القس لم يمت ميتة طبيعية.. ولكن الأمر الغريب أنه لم يكن له أعداء ولا أرى أي مبرر لقتله .

–لا تنسي أنه لم يتم العثور على شيء في . الشراب .

– ربما يكون أحدهم قد حقنه بحقنة مسمومة .

– تعنين مثل السم الذي يستخدمه الهنود الأمريكيون في السهام؟

– نعم .. وسوف ترى في يوم من الأيام أننا كنا على حق . قال "ساترزويت" بدهشة :

– أنتما ؟ من تعنين ؟

– أنا وسير "تشارلز". قالت ذلك وقد تضرج وجهها ، وفكر "ساترزويت" في فارق السن بين سير "تشارلز" و"ايج ليتون جور" وخطر ببال "ساترزويت" أن الشابات الصغيرات يشعرن بالميل نحو الرجال في منتصف العمر .وقالت "ايج" :

– أنا أحب الرجال الذين يتورطون في العلاقات الغرامية لأن هذا يؤكد أنهم ليسوا شواذ .. سكتت "ايج" هنيهة ثم أردفت تقول :

– أنت تعرف أن سير "تشارلز" أذكى بكثيرمما يبدو .. ورغم أنه يتظاهر أحيانا بالتمثيل إلا أنه يؤدي دوره ببراعة .. ولكن بالنسبة لموت رجل الدين .. أنت لا ترى فيه شيئا مثيرا .مجرد حادث مؤسف .ترى ما رأي مسيو "بوارو"؟

– نصحنا مسيو "بوارو" بالتريث حتى تظهر نتيجة التحليل .. قالت (ايج) بقسوة :

– إنه رجل متخلف .. ما رأيك في أن تحضر إلى البيت لتشرب معنا الشاي.. أمي تشعر بالميل نحوك .. هذا ما قالته لي ..

قبل "ساترزويت" الدعوة مزهوا بالإطراء .. استقبلته ليدي ماري بترحيب بالغ ودار حديثهما حول سير "تشارلز" وقالت ليدي "ماري" باسمة :

– لهذا الرجل سحر كبير ..إنني أشعر بذلك مثلما تشعر به "ايج" ، أعتقد أنك لاحظت أنها تعاني بشدة عقدة عبادة البطل ؟ لم تندمج كثيرا في

المجتمع وعشنا منعزلين عن الناس . ومن رأيي أنه يتحتم على الشبان أن يروا العالم ويختلطوا بالناس وإلا تعرضوا للكثير من المخاطر .

هز (ساترزويت) رأسه مؤمنا ، وتابعت ليدي (ماري) حديثها قائلة : لقد فعل سير (تشارلز) الشيء الكثير بالنسبة لـ(ايج) ، لقد وسع دائرة معارفها ..كما ترى لا يوجد في المنطقة ،سوى عدد محدود من الشباب ،وكنت أخشى أن تتزوج "ايج" من أول شاب تراه دون أن تختبر أحدا غيره سأل (ساترزويت) باهتمام :

– هل كنت تفكرين في " أوليفر ماندرز " ؟ فوجئت "ليدي ماري" بالسؤال وقالت:

– أوه يا مستر "ساترزويت " ! لا أدري كيف عرفت ! كنت أفكر في الشاب بالفعل ..فقد كانت "ايج" تخرج معه وتقضي معه وقتا طويلا .. أنا سيدة رجعية ولا أحب بعض آراء (أوليفر).

– يجب أن يستمتع الشباب ببعض النزوات .

هزت "ليدي ماري" رأسها قائلة" – إنني أعرف كل شيء عن هذا الشاب كما أعرف عمه جيدا ، ألحقه عمه بالعمل في شركته .. وهو رجل واسع الثراء ..ولكن –

هزت رأسها في حيرة وقال " ساترزويت":

– ومع هذا فلا أظنك توافقين على أن تتزوج " ايج" من رجل في ضعف عمرها .

–ربما كان ذلك أنسب لها .. فالرجل في مثل هذا العمر يترك نزواته وراء ظهره ..

وقبل أن يعلق (ساترزويت) على ذلك كانت "ايج" قد لحقت بهما واعتذرت بأنها كانت تتحدث مع سير (تشارلز) ، ووجهت اللوم لـ(ساترزويت) لأنه لم يخبرها بانصراف الضيوف ، وقال الأخير :

– انصرفوا جميعا بالأمس فيما عدا سير (بار ثلوميو سترينج) الذي سافر إلى "لندن" هذا الصباح بناء على مكالمة تليفونية عاجلة حيث كان أحد مرضاه يجتاز مرحلة حرجة ، قالت (ايج) بأسى :

– هذا أمر يؤسف له ، لأنني كنت أرغب في دراسة المدعوين لعلي أعثر على دليل ..

– دليل على أي شيء ؟

– يعرف المستر (ساترزويت) السبب ..ولكن (أوليفر) لايزال موجودا ولعله يستطيع بذكائه أن يعاونني ..

عندما عاد (ساترزويت) إلى بيت "عش الغراب "رأى سير (تشارلز) جالسا في الشرفة يتطلع إلى البحر ، وقال بمرارة عندما تطرق الحديث إلى (ايج جور) :

–ليتني لم أت قط إلى هذا المكان الملعون !

أحس (ساترزويت) فجأة بالشفقة على الرجل الذي بلغ الثانية والخمسين من عمره ووقع في الحب أخيرا بعد أن حطم الكثير من القلوب ، ولكن ساترزويت) ظل مؤمنا أن الغلبة في النهاية لـ(ماندرز) الشاب ..وازداد اقتناعا بهذا الرأي عندما اتصلت (ايج) تليفونيا طالبة السماح لها بإحضار (أوليفر) بعد العشاء للتشاور في أمر ما .. وقال (ساترزويت) بحذر :

– أليس من الأفضل أن تفاتح (ايج) .. أنت تعرف ما يدور في رأس الشباب ، بينما يجري تفكيرك حول أمور صبيانية مثل الجريمة والعواطف ..

– ألست متشائما بعض الشيء؟

عندما قدمت (ايج) مع (أوليفر ماندرز) ، ظل (ساترزويت) يراقبهما باهتمام وهما يتجادلان بحيوية ، وخيل إليه أن سير (تشارلز) تقدم في العمر سنوات وبدا متعبا مجهدا على غير العادة ، حاولت "ايج" أكثر من مرة استدراجه للحديث ولكنه ظل غارقا في أفكاره حتى انصرفت (ايج) مع

"أوليفر" في الحادية عشرة وظلت أصواتهما مسموعة حتى غابا عن الأنظار تحت ضوء القمر ، وصب سير (تشارلز) لنفسه كأسا من الشراب .

وقال بهدوء :

– (ساترزويت) .. سوف أترك هذا المكان في الغد وإلى الأبد ..

قال (ساترزويت) بدهشة :ماذا تقول ؟

–هذا هو الشيء الوحيد الذي يجب أن أفعله .. سوف أبيع البيت .. لن يعرف أحد ماذا كان يعنيه هذا البيت لي .. تهدج صوته ثم استرسل يقول:

– خير وسيلة أن تقلل خسائرك .. الشباب للشباب .. لقد خلق كل منهما للآخر .. يجب أن أنسحب من الميدان .

– وإلى أين تذهب ؟

– إلى أي مكان .. ليس لذلك أهمية .. ربما ذهبت إلى (مونت كارلو) . ما الفرق بين أن أكون في وسط الصحراء أو بين زحام الناس ؟ لقد اعتدت أن أعيش وحيدا ..

نهض سير (تشارلز) وتبعه (ساترزويت) ليذهب إلى فراشه .. وفي صباح اليوم التالي ، طلب سير (تشارلز) من ضيفه أن يغفر له ،

لا ضطراره إلى الذهاب إلى المدينة ذلك اليوم وأضاف :

–لا تختصر زيارتك .. كان المفروض أن تبقى حتى الغد .. سوف توصلك السيارة إلى المحطة .. شعوري الآن بعد أن توصلت إلى قراري ألا أنظر إلى الماضي .

صافح سير (تشارلز) ضيفه وتركه لعناية مس (ميلراي) التي لم تفاجأ بقرار مخدومها وشرعت من فورها في اتخاذ الإجراءات اللازمة لعرض البيت للبيع ، وخرج (ساترزويت) ليقوم بجولة على رصيف الميناء وفوجيء بيد توضع على ذراعه وعندما استدار وجد (" ايج") بوجهها الأبيض الباسم تقول له :

– ما كل هذه الضجة ؟

–أي ضجة ؟

– الكل يتحدثون عن قرار سير "تشارلز" .. إنه سوف يبيع البيت ..

– هذا صحيح ..و قد غادر المكان بالفعل !

قالت (ايج) وهي تغرس أظفارها في يده : أوه ! إلى أين ذهب ؟

– سافر إلى الخارج .. إلى جنوب (فرنسا) .

لم تجد الشابة ما تقوله .. لم يكن الأمر مجرد عبادة البطل كان الأمر يتجاوز ذلك .. وسألت بشراسة :

– ومن تلك الشيطانة الملعونة التي اتجه إليها ؟ لا شك أنك تعرف .. أهي تلك السيدة ذات الشعر الرمادي أم الأخرى ؟

عندما أكد لها (ساترزويت) أنه لا يعرف قالت بحدة :

– بل تعرف ..لابد أنك تعرف .. إنها امرأة ولا شك لقد كان يحبني .. أعرف أنه كان يحبني .. فكرت واحدة من السيدتين أن تختطفه مني .. إنني أكره النساء.. حشرات قذرات .. هل رأيت ملابسها ؟ تلك السيدة ذات الشعر الرمادي ؟هل هي ؟ أم هي السيدة الأخرى ؟ تلك التي كان يناديها بـ (أنجي) .. أهي السيدة الأنيقة أم " أنجي"؟

– ياعزيزتي .. أفكارك غريبة حقا ..ليس (تشارلز كارترهوايت) معنيا بواحدة منهما .

– لا أصدقك .. ولكنهما مهتمتان به ..

– كلا .. كلا .. أنت مخطئة وهذا من نسج خيالك .

– كلاب .. حشرات ..

–ينبغي ألا تستخدمي هذه الكلمات يا عزيزتي ..

–إنني أفكر في شتائم أسوأ منها .

– ولكنني أؤكد لك أنك مخطئة .

– إذن لماذا سافر بهذه الطريقة ؟

– ربما لأنه اعتقد أن هذه أسلم طريقة . تفرست (ايج) في وجهه قائلة :

– هل تعني – بسببي أنا ؟

– حسن .. ربما كان شيئاً من هذا القبيل .

– لهذا هرب .. ربما أكون قد عرضت نفسي والرجال لا يحبون من يطاردهم .. لقدكانت مامي على حق عندما قالت لي : دعي الرجال هم الذين يلاحقونك ! لقد هرب (تشارلز) مني .. خاف مني والمصيبة أنني لا أستطيع أن أذهب وراءه ، ولو فعلت ذلك فربما أركب السفينة إلى مجاهل أفريقيا .

– (هرميون) .. هل أنت جادة بشأن سير (تشارلز) ؟

– بالطبع .

– وماذا بشأن "أوليفرماندرز"؟

أشاحت (ايج) بيدها وقالت بنفاد صبر :

– هل تنصحني أن أكتب له ؟ مجرد دردشة ..أعني أن أهدىء خواطره حتى يتغلب على مخاوفه ؟ كان في حاجة إلى أن أشجعه .. أخبرني .. هل رآني في الليلة الماضية وأنا أقبل " أوليفر" ؟

– لا علم لي بذلك .. متى كان ذلك ؟

– في ضوء القمر عندما كنا نسير في الممشى .. أعتقد أنه كان واقفا في الشرفة ينظر إلينا .. ظننت أن ذلك ربما أيقظه بعض الشيء لأنني كنت أشعر بميله نحوي .. أقسم أنه كان يحبني .

– ولكن أليس ذلك قاسيا بعض الشيء بالنسبة لـ (أوليفر) ؟

– كلا بالمرة .. فهو يعتقد أنه شرف كبير تناله أي فتاة تقبله ..كل ما قصدته أن أثير غيرة (تشارلز) ..

– ياطفلتي العزيزة .. لا أظنك تدركين جيدا سبب الرحيل المفاجىء لسير (تشارلز) .. لقد اعتقد أنك تفضلين (أوليفر) عليه ، وقد رحل لكي يجنب نفسه المزيد من الآلام .. قالت (ايج) بعصبية :

– هل هذا صحيح ؟ هل هذا صحيح حقا ؟

ابتعدت (ايج) عنه قليلا ثم اقتربت منه مرة أخرى وقالت :

– إذا كان الامر كذلك فسوف يعود .. سوف يعود وإذا لم يفعل .. عندما

توقفت (ايج) عن الكلام قال (ساترزويت) :

– حسن .. ماذا يحدث إذا لم يعد ؟

– سوف أعيده بطريقة أو بأخرى .. سوف ترى ..

الفصل الثاني

التاكد

ذهب مستر "ساتر زويت" إلى(مونت كارلو) بعد أن انتهى موسم الحفلات التي كان يدعى إليها ، وكانت (الريفيرا) الفرنسية لطيفة في شهر سبتمبر (أيلول)، كان(ساترزويت) جالسا في إحدى الحدائق يستمتع بالشمس ويتصفح عدد صحيفة (الديلي ميل) الصادر منذ يومين ووقع بصره على الفقرة التالية "نأسف شديد الأسف ونحن ننعي سير (بارثلوميو سترينج) طبيب الأعصاب المعروف .. كان سير(بارثلوميو) يستمتع بإقامة حفل لبعض الأصدقاء في منزله في (يوركشاير) وكان يبدو في أحسن صحة وأسعد حال ، عندما أصيب بأزمة مفاجئة بعد العشاء .كان يتحدث مع بعض الاصدقاء وهو يشرب كأسا من الشراب عندما أصيب بالأزمة ولفظ أنفاسه قبل وصول الطبيب .. لقد كان سير ..

جاء بعد ذلك حديث عن تاريخ وخبرة الطبيب المشهور ،

وترك (ساترزويت) الصحيفة وهو يشعر بالأسى العميق ،ومرت بخاطره صورة الطبيب كما رآه من قبل في كامل صحته متورد الخدين وقد أصبح الآن ميتا ..وهمس "ساترزويت " لنفسه : "كان يشرب كاساً من الشراب " أزمة مفاجئة .. مات قبل وصول الطبيب .. كان يشرب العصير في هذه المرة وليس الكوكتيل ولكن الميتة مشابهة لميتة رجل الد ين .. وتذكر "ساترزويت" التقلصات التي رآها على وجه رجل الدين ... فلنفترض أن ...

رفع (ساترزويت) رأسه ليرى سير "تشارلز" كارترهوايت " مقبلا نحوه ، وقال سير (تشارلز) :

– (ساترزويت) ! يالها من مصادفة .. نفس الشخص الذي كنت أرغب في لقائه ..هل قرأت ما حدث لـ"تولي" العجوز ؟

كنت أقرأ الخبر منذ لحظات.. جلس سير(تشارلز) على مقعد بجواره ثم قال:

– كان (تولي) في أحسن صحة ولم يكن يشكو من شيء .. ألا يذكرك ذلك بالحادث الذى وقع ..؟

– الذي وقع في (لوماوث) ؟نعم .. ولكن ربما كنا مخطئين بالطبع .. ربما كان التشابه مجرد مصادفة .. ومع هذا فالموت المفاجيء يقع لأسباب عديدة .. أومأ سير (تشارلز) برأسه ثم قال :

– تلقيت على التو خطابا من" ايج ليتون جور ". أخفى مستر (ساترزويت) ابتسامته وهو يقول :

– أهو أول خطاب تتلقاه منها ؟

– كلا .. تلقيت قبل ذلك خطابا بمجرد وصولي إلى هنا ولكنني لم أرد عليه .. لم أجرؤعلى الرد عليه يا (ساترزويت) .. لم تكن لدى الفتاة أية فكرة بالطبع ، لم أشأ أن أظهر بمظهر الإنسان الأحمق .. سأل " ساترزويت " وبالنسبة لهذا الخطاب ؟

– هذا مختلف .. إنه توسل وطلب نجدة ..

– النجدة ؟

– لقد كانت هناك .. كانت في الحفل عندما حدث ماحدث

– تعني أنها كانت في الحفل عندما لفظ سير " بارثلوميو " آخر أنفاسه؟

– ماذا تقول عن الحادث؟

أخرج سير"تشارلز" .. خطابا من جيبه وتردد هينهة قبل أن يسلمه لـ"ساترزويت "ثم طلب منه أن يقرأه ، وفتح " ساترزويت " المظروف وبدأ يقرأ بفضول :

عزيزي مستر " تشارلز" لا أدري متي تصلك رسالتي ..أرجو أن تصلك عاجلا .. إنني في أشد حالات القلق ولا أعرف كيف أتصرف .. أعتقد أنك قد سمعت عن وفاة سير "(بارثلوميو سترينج) " .. حسن .. لقد مات ميتة مشابهة لمستر" (بابنجتون)" .. ولايمكن أن يكون ذلك مجرد مصادفة ..لايمكن . أنا مرتاعة للغاية .. ألا تستطيع المجيء لكي تفعل شيئا ؟ لقد ساورتك بعض الشكوك من قبل .. لا أحد يريد أن يستمع إلي ، والذي مات هذه المرة هو

صديقك ، وإذا لم تحضر بنفسك فلن يعرف أحد الحقيقة قط ، وأنا واثقة بأنك تستطيع أن تتوصل للحقيقة . وهنالك أمر آخر .. إنني قلقة على شخص ما .. أنا متأكدة أنه لا دخل له في الموضوع ولكن الأمور تبدو غريبة بعض الشيء .. لا أستطيع أن أشرح لك التفاصيل في الخطاب .. ولكن ألا تستطيع المجيء لكي تعرف الحقيقة .. أنا واثقة أنك تستطيع ..

التي تنتظرك على عجل ..

"ايج"

عندما رفع (ساترزويت) رأسه سأله سير (تشارلز) عن رأيه وقال :

– كتبت الخطاب على عجل .. مارأيك؟

سكت (ساترزويت) هنيهة وهو يفكر في الرد ، ثم قال : إن المعلومات التي تعرضها (ايج) غير متماسكة ، ولكنه لا يعتقد أنها كتبت الخطاب على عجل، ويرى أنها كتبته بعناية ،وأنها تستثيرنخوة سير (تشارلز) وفروسيته عندما تطالبه بالمساعدة وسأل سير (تشارلز) :

– من الذى تعنيه بـ"شخص ما" ؟

– أعتقد أنها تقصد "ماندرز"

– هل كان في الحفل إذن ؟

– لابد أنه كان موجودا ..لا أدري لماذا ..لم يلتق به "تولي" سوى مرة واحدة في بيتي .. لماذا طلب منه الحضور ؟.. لا أستطيع أن أتصور ذلك .

– هل كان يقضي وقتا طويلا في "يوركشاير"؟

– اشترى هناك بيتا يسمى (ميلفوردآبي) وحوله إلى مصحة خيم الصمت هنيهة ، ثم قال "ساترزويت" :

–إنني أتساءل من كان حاضرا أيضا في الحفل ؟

قال سير (تشارلز) إن الرد على هذا السؤال موجود في أخبار الصحف ، وأخرج صحيفة وقرأ بصوت مرتفع: " كان سير (بارثلوميو سترينج) يقيم في بيته الحفل المعتاد بمناسبة عيد (سانت ليجر) ، وحضر الحفل لورد وليدي "ايدن"، ليدي "ماري ليتون جور "، سير "جوسلين"وليدي" كامبل" ، كابتن ومسز "داكريس" ، ومس انجيلا ساتكليف " الممثلة المعروفة . تبادلا النظرات ، وقال

سير (تشارلز) :

– كابتن ومسز داكريس " وأنجيلا ساتكليف " .. ولكن لاخبر عن "أوليفر ماندرز"

اقترح "ساترزويت" البحث عن بقية الأخبار في صحيفة "كونتيننتال ديلي ميل " ، وتصفح سير (تشارلز) تلك الصحيفة هنيهة ثم قال بدهشة :

– ياإلهي .. استمع إلى هذا الخبر يا(ساترزويت) .. "سير "بارثوميو سترينج" في جلسة التحقيق التي عقدت اليوم بالنسبة لوفاة سير "بارثوميو سترينج" صدر الحكم بأن الوفاة نتجت عن التسمم بالنيكوتين ولم يكتشف أي دليل يبين الطريقة التي تم بها دس السم أو الشخص الذي فعل ذلك قطب سير"تشارلز" جبينه ، ثم قال :

– التسمم بالنيكوتين ،يبدو الأمر غريبا بعض الشيء ،لايؤدي التسمم بهذه الطريقة إلى وقوع أزمة مفاجئة تسبب الموت ..لا أستطيع أن أفهم شيئا.

– ماذا تنوي أن تفعل ؟

– سوف أحجز مقصورة في القطار الأزرق الذي يتحرك الليلة .

قال(ساترزويت) إنه سيفعل نفس الشيء ، وقال سير (تشارلز) بدهشة: –أنت؟

–نعم ،مثل هذا الأمر يدخل في دائرة اهتماماتي .. فقد كانت لدي بعض التجارب ،فضلا عن أنني أعرف مفتش الشرطة هناك .. الكولونيل (جونسون)..

– فكرة طيبة .. هيا بنا إلى مكتب عربات النوم .

انصرف سير ("تشارلز") ليتوجه إلى مكتب الحجز ، وهمس "ساترزويت"لنفسه : لقد نجحت خطة الفتاة .. استطاعت أن تستعيده .. قالت إنها ستفعل وقد فعلت ..

سار (ساترزويت) بخطى بطيئة في الحديقة وهو لا يزال يفكر في مشكلة "ايج ليتون جور" وهو معجب بحيويتها وشبابها .. كان المستر "ساترزويت " رجلا قوي الملاحظة ، ومن بين اهتماماته العديدة البحث عن طبا ئع الجنس اللطيف بصفة عامة ومشكلة " ايج ليتون جور" بصفة خاصة ، وبينما تدور

تلك الأفكار في رأسه قال لنفسه : أين رأيت هذا الرأس المتميز والشارب الكث من قبل؟

كان صاحب الوجه جالسا على أحد المقاعد شارد اللب .. كان رجلا صغير الجسم كث الشارب ، رفع الرجل رأسه وصاح "ساترزويت" :

آه .. مسيو "بوارو" .. يا لها من مفاجأة سارة . وقال "بوارو":

– أنا سعيد بلقائك ياسيدي .. تصافح الرجلان وجلس "ساترزويت"ثم قال:

– يبدو أن جميع الناس جاءوا إلى "مونت كارلو" .. منذ أقل من نصف الساعة التقيت بسير "تشارلز كارترهوايت" وهأنذا التقي بك الآن .

–سير "تشارلز" هنا أيضا؟

– كان يقوم برحلة باليخت .. ألا تعرف أنه باع بيته في (لوماوث) ؟

– آه كلا ..إنني دهش لذلك .

– لا أعتقد أن (كارترهوايت) من ذلك الطراز الذي يستطيع أن يعيش بمعزل عن العالم بصفة دائمة .

– أنا أتفق معك في هذا .. ولكن لدهشتي سبب آخر.. خيل لي أن لسير "تشارلز" دافعا خاصا للبقاء في (لوماوث) .. أعني بسبب شابة ، حسناء أليس كذلك ؟ المدموازيل التي تسمي نفسها (ايج) ؟

– أوه ..إذن فقد لاحظت ذلك .

– لاحظته بالتأكيد ..قلبي يتفتح دائما للعشاق والشباب له سحره دائما .. تنهد مسيو "بوارو" ، وقال "ساترزويت":

– اعتقدت أنك تعرف الآن سبب رحيل سير "تشارلز" عن (لوماوث) .. لقد كان يفر من المكان .

– من مدموازيل (ايج) ؟ ولكن الواضح أنه يحبها جداً .. لماذا يفر إذن ؟ ولكنها بالطبع خطة حكيمة ..يفر من المرأة لتبدأ في مطاردته ..لا شك أن لسير "تشارلز" تجارب عديدة ."

ابتسم"ساترزويت " وهو يقول :

– لا أظن أن الأمور سارت على هذا النحو .. ولكن ما الذي تفعله هنا

أهي إجازة ؟

– كل وقتي الآن أصبح إجازة .. لقد نجحت وصرت غنيا .. لقد تقاعدت وأقوم الآن بالسفر حول العالم .. أستمتع بحياتي .. نشأت طفلا فقيرا .. كان عددنا كبيرا ، وكان علينا أن نكافح لنشق طريقنا في الحياة ..التحقت بالشرطة واشتغلت بجد وبدأت أبني لنفسي مجدا حتى ذاع صيتي .. وجاء الوقت لكي أتقاعد ثم نشبت الحرب وأصبت في المعارك ، وجئت إلى "انجلترا "لاجئا .. استضافتني سيدة رقيقة ، ماتت ولم تكن ميتتها طبيعية .. قتلت ..حسن .. استخدمت خلايا عقلي وتمكنت من معرفة القاتل .. وأدركت في تلك اللحظة أنني لم أنته وأن لدي طاقات قوية تحتاج إلى الاستغلال .ومن هنا بدأت عملي الثاني .. العمل كمخبر خاص في "انجلترا .تمكنت من حل العديد من القضايا المعقدة .. وعرفت الطبيعة البشرية وأصبحت غنيا .. سوف أحصل على كل المال الذي أريده .. وسوف أحقق جميع أحلامي .. أشار "ساترزويت" إلى الصحيفة التي يحملها وقال :

– هل اطلعت على هذه الصحيفة "يامسيو "بوارو"؟

أشار بأصبعه إلى الفقرة التى يقصدها .وأخذ منه البلجيكي الصغير الجسم الجريدة وقرأ الفقرة دون أن يبدو أي انفعال على وجهه ، ولكن الرجل الانجليزي كان على ثقة بأن بركانا يغلي في أعماق البلجيكي ، قرأ "بوارو" الفقرة مرتين ثم استدار نحو "ساترزويت" قائلا:

– هذا شيء مثير .

– نعم ..يبدو أن سير "تشارلز كارترهوايت "كان على حق ونحن مخطئون .

–نعم .. يبدو أننا كنا على خطأ .. يجب أن أعترف بهذا ياصديقي ..لم يكن باستطاعتي أن أصدق أن رجلا عجوزا رقيقا مثل مستر (بابنجتون) يمكن أن يقتل .. ومع هذا فقد يكون موت الطبيب مجرد مصادفة .. كثيرا ما تقع مصادفات بالغة الغرابة .. أنا "هيركيول بوارو" رأيت مصادفات عجيبة تقع تحت سمعي وبصري . سكت (بوارو) قليلا ثم أردف يقول :

ربما كانت غريزة سير (تشارلز) على حق ..فهو فنان حساس يشعر بدقائق

الأشياء أكثر مما يحس بأسبابها .. إنني أتساءل أين هو الآن ؟

ابتسم (ساترزويت) ثم قال :

– في مكتب الحجز لعربات النوم .. سوف نعود سويا إلى (لندن) الليلة ..

–آه ! كم هو متحمس سير (تشارلز) هذا ..إنه مصر على أن يلعب دوره..أعني دور رجل الشرطة الهاوي .. هل ترى سببا آخر؟

لم يجب (ساترزويت) ، واستخلص الجواب من ذلك الصمت وقال :

–أعتقد أن لعيني "ايج" الجميلتين دخلا في ذلك..

– ليست الجريمة وحدها هي التي تناديه .

– لقد بعثت إليه خطابا ترجوه أن يعود ..

– إنني أعجب الآن ..لا أفهم تماما ..

قاطعه "ساترزويت" بقوله :

– تعني أنك لا تفهم الفتاة الإنجليزية المعاصرة ؟

– عفوا ..يبدو أنك لم تفهم قصدي ..إنني أفهم مس "ليتون جور" جيدا .. التقيت بالكثير من أمثا لها ..أنتم تسمون هذا الطراز عصريا ولكن كيف أسميه أنا ؟ إنه قديم قدم الزمان ..

شعر "ساترزويت" ببعض الاستياء لأن هذا الأجنبي المغرور يتصور أنه يعرف عن الانجليزيات أكثر مما يعرفه ، واستمر "بوارو" في حديثه قائلا:

–إن معرفة الطبيعة البشرية يمكن أن تصبح شيئا شديد الخطورة . صحح له "ساترزويت" قائلا:

بل تصبح أمرا كبير النفع .

– ربما .. هذا يتوقف على وجهة النظر .

نهض "ساترزويت" متمنيا "لـ بوارو" يوما سعيدا ، وشكره "بوارو" وقال "ساترزويت":

– عندما تزور لندن في المرة القادمة أرجو أن تزورني .. هذه هي بطاقتي عليها عنواني ..

– أنت لطيف يا مستر "ساترزويت" .. سوف يكون ذلك من دواعي سروري

.. أتمنى لك رحلة سعيدة . ابتعد "ساترزويت" "ويوارو" يتابعه بنظراته ، ثم عاد إلى تأملاته مرة أخرى ، واستمر في جلسته قرابة عشر دقائق ، ثم نهض ليتوجه إلى مكتب الحجز بشركة عربات النوم ..

-٢-

كان سير "تشارلز" ومستر "ساترزويت" جالسين في مكتب الكولونيل "جونسون" وأبدى مفتش الشركة كل الحفاوة الممكنة بسير "تشارلز" وأخبره أن زوجته من المعجبات به كممثل قدير . وأنه شخصيا من رواد المسرح ، وأنه غير راض عما يقدم اليوم على خشبة المسرح ، وابتسم سير "تشارلز" مسرورا من هذا الإطراء ، وعندما جاء الوقت لكي يكشفا له عن سبب هذه الزيارة أبدى مفتش الشرطة استعداده لتقديم كل المعاونة المطلوبة . وقال :

- تقول إنهم أصدقاؤه ؟ هذا سيئ للغاية .نعم ..كان طبيبا مشهورا هنا .. ويتحدث الناس عن مصحته بالخير .. كان سير "بارثلوميو" في الواقع مثالا للفتى الطيب فضلا عن كرمه وشعبيته .. آخر إنسان في الدنيا كنت أتوقع أن يقتل .. من الواضح أن في الأمر جريمة ..لا دليل يشير إلى الانتحار .. أو وقوع حادث عرضي .. قال سير "تشارلز" :

-جئت أنا وصديقي من الخارج .. ولم نطلع على شيء سوى بعض قصاصات الصحف ..

- من الطبيعي أن تسعيا إلى معرفة كل التفاصيل .. حسن .. سوف أعرض عليكما ملخصا للموقف ..في اعتقادي أنه لايوجد شك في أن القاتل الذي نسعى إليه هو الخادم المنوط بالأكل والشراب.. جاء ليلتحق بخدمة سير (بارثلوميو) قبل موته بأسبوعين فقط .واختفى بعد الوفاة مباشرة .. كأنما تبخر في الهواء ..ألا يبدو ذلك غريبا؟

- أليست لديك فكرة عن المكان الذي ذهب إليه؟ احمر وجه الكولونيل ثم قال :

- أعتقد أنكما تفكران أنه إهمال من جانبنا .. أنا أعترف بذلك ..كان الرجل تحت المراقبة شأن جميع الحاضرين في الحفل .. استجوبناه وكانت إجاباته مقنعة تماما .. أعطانا عنوان مكتب الاستخدام الذي أرسله

للمكان ..كانت آخر خدمته لدى سير "هوراس بيرد" ثم اختفى بعد ذلك بينما كان المنزل تحت المراقبة ..وجهت اللوم لرجالي ولكنهم أكدوا لي أن عيونهم لم تغفل لحظة واحدة .

قال "ساترزويت"بدهشة :

أمر غريب حقا ! وقال سير "تشارلز" :

- فضلا عن أي اعتبار آخر يبدو أن هذا الرجل مجنون .. على قدر علمي لم يكن الخادم متهما بأي شيء ، وبهروبه قد لفت الأنظار .

-تماما . ولا أمل له في الهروب لأن أوصافه مسجلة .. لن يستغرق الأمر أكثر من أيام حتى يقع بين أيدينا . قال سير "تشارلز" :

-أمر غريب حقا ..إنني لا أفهم شيئا ..

-أوه ..السبب واضح تماما ..لقد فقد أعصابه وعزم فجأة على الهروب .

- أليس من المنطقي أن تكون للرجل الأعصاب التي يتحمل معها ارتكاب الجريمة ولا تقوى أعصابه على البقاء في هدوء بعد ذلك؟

- هذا يتوقف على المجرم .. ولكن معظمهم يصابون بالذعر ..لقد ظن أن أصابع الاتهام تشير إليه فهرب .

-هل تحققت بنفسك من صدق البيانات التي قدمها ؟

- بكل تأكيد يا سير "تشارلز" ..هذا مجرد عمل روتيني .. أيد مكتب الاستخدام في "لندن" قصته ، وكانت لديه شهادة توصية من سير "هوراس بيرد"، أما سير "هوراس" نفسه فموجود الآن في شرق أفريقيا .

- أليس من المحتمل أن تكون الشهادة مزورة؟ نظر الكولونيل إلى سير "تشارلز" بإعجاب وقال :

- بالطبع ..لهذا أرسلنا برقية إلى سير "هوراس"وقد يمر بعض الوقت قبل أن يصلنا الرد ..

- متى اختفى الرجل؟

- صباح اليوم التالي للوفاة ..كان أحد الأطباء موجودا في الحفل – سير "جوسلين كامبل" – وهو خبير في السموم على ما سمعت ، وقد اتفق رأيه

مع رأي "دافيز" الطبيب المحلي ومن ثم حضر رجالنا على الفور .. ذهب "إبليس" – وهذا اسم الخادم – إلى غرفته كالعادة وتم اكتشاف غيابه في الصباح .. وكان من الواضح أنه لم ينم في سريره .

– هل تسلل متسترا بالظلام؟

يبدو هذا ..إحدى السيدات المدعوات للحفل .. مس " ساتكليف " الممثلة .. لعلك تعرفها ؟

– أعرفها معرفة جيدة .

– قدمت لنا الممثلة اقتراحا .. قالت إن الرجل ربما هرب الى الخارج عن طريق سرداب سري .. ويبدو أن هذا احتمال قائم حيث تقول مس (ساتكليف) إن الطبيب كان يفاخر بذلك السرداب وقد أطلعها عليه .. وتقول إن نهاية السرداب تقع على بعد نصف ميل من الموقع .

هز سير"تشارلز" رأسه مؤمنا وقال :

– هذا تفسير معقول ولا شك .. ولكن كيف عرف الخادم بوجود مثل هذا السرداب ؟

– هذه هي النقطة المهمة ... تقول زوجتي إن الخدم يعرفون كل شيء وأعتقد أنها على حق .

تدخل "ساترزويت"في الحديث قائلا :

–فهمت أن النيكوتين هو السم الذي استخدم في القتل ؟

– هذا صحيح .. وهو سم غير عادي على ما أعتقد فضلا عن أنه نادر نسبيا .و لو أن الرجل كان يدخن كثيرا مثل الدكتور الراحل فإن ذلك يزيد الأمور تعقيداً ..أعني أنه كان يموت متسمما من النيكوتين بطريقة طبيعية.

– كيف تم دس السم له؟

–لانعرف .وسوف تظل هذه نقطة الضعف في القضية .. ووفقا للتقرير الطبي كان ابتلاع السم قبل الوفاة ببضع دقائق فحسب .

– سمعت أنهم كانوا يشربون الكحول ؟

– تماما .. يبدو أن السم كان في الشراب ولكننا لم نعثر على شيء عند

تحليل بقايا الكأس .وكذلك زجاجة الشراب وعند التحقق من الطعام الذي تناوله الطبيب تأكد لنا أنه لم يتناول شيئا غير الذي أكله الجميع .. وكان الطاهي الذي أعد الطعام يعمل في خدمته منذ خمسة عشر عاما .. ورغم هذا فقد عثر في معدته على بقايا السم مما يعقد المشكلة ..

دار سير "تشارلز" حول مستر" ساترزويت "ثم قال بارتياع :

– نفس الشيء ..نفس الشيء الذي حدث من قبل . ثم استدار نحو مفتش الشرطة معتذرا وقال :

– يجب أن أشرح لك الأمر .. حدثت في بيتي في "كورنوول " وفاة مشابهة ..

بدا الاهتمام على وجه المفتش وقال:

أعتقد أنني سمعت هذه القصة من شابة تدعى مس "ليتون جور"

–نعم .وكانت مصرة على وجهة نظرها ولكنني لا أستطيع أن أصدق تلك النظرية ..لأنها لا تفسر سبب هروب الخادم .ولا أظن أن خادمك اختفى ..

– لم يكن لدي خادم .. مجرد خادمة .

–أليس من المحتمل أن يكون رجلا متنكرا على شكل امرأة؟

ابتسم سير "تشارلز" وهو يتذكر وجه خادمته ، وابتسم مفتش الشرطة بدوره معتذرا وهويقول :

– هذه مجرد فكرة .. كلا ..لا أستطيع أن أوافق مس" ليتون جور" على نظريتها .. خاصة وأن الوفاة حدثت لرجل دين عجوز ..من الذي يفكر في التخلص من رجل دين مسالم كهذا؟

قال سير "تشارلز" مؤمنا : هذا هو الجانب المحير في الموضوع .

سوف تجد أن ما حدث مجرد مصادفة ..تأكد أن رجلنا المطلوب هو الخادم الهارب .من المرجح أن يكون مجرما معتادا للاجرام ، ولسوء الحظ لم نعثر على بصماته ..

– لو أن الخادم هو القاتل فما هي دوافعه؟

– هذه هي إحدى المصاعب التي نواجهها .. سكت الكولونيل هنيهة ثم استرسل قائلا : – ربما جاء الرجل بهدف السرقة .. وربما ضبطه سير

"بارثلوميو" متلبسا . استمع سير "تشارل" ومستر "ساترزويت" إلى كلام الكولونيل في صمت ، وأحس رجل الشرطة أن نظريته غير مقبولة ، وقال :

–في الواقع كل ما لدينا الآن هو أن نفترض بعض النظريات . ولكننا عندما نلقي القبض على "جون إيليس" ونعرف حقيقة شخصيته وعما اذا كان من المجرمين الذين وقعوا بين أيدينا من قبل ، فسوف نكتشف الدافع لارتكاب الجريمة ..

– هل اطلعت على الأوراق الخاصة بسير "بارثلوميو"؟

– بكل تأكيد يا سير "تشارلز" .. لقد أولينا هذه النقطة اهتماما خاصا .. يجب أن أعرفك بمفتش الشرطة "كروسفيلد" الذي يتولى هذه القضية .. وهو رجل قدير ، وقد أوضحت له وجهة نظري ووافقني على الفور على أن مهنة سير "بارثلوميو" ربما كان لها دخل في ارتكاب الجريمة .. فالطبيب يقف على كثير من أسرار مرضاه ، ووجدنا جميع أوراق الطبيب مرتبة ومصنفة بعناية ، وقد استعرضتها سكرتيرته مس "ليندون" مع "كروسفيلد" .

– هل عثرتم على شيء؟

–لا شيء له قيمة يا سير "تشارلز" .

– هل اكتشفتم فقد شيء من المنزل – أعني فضيات أو جواهر أو أشياء من هذا القبيل ؟

– لا شيء على الإطلاق .

– من يقيم في البيت على وجه التحديد؟

– معي قائمة تتضمن الأسماء .. أين هي ؟ آه تذكرت أنني سلمتها لـ"كروسفيلد" .. يجب أن تقابل "كروسفيلد" .. إنني في الواقع أتوقع حضوره بين لحظة وأخرى ..عندما سمع طرقة على الباب قال : لعله وصل..

كان "كروسفيلد" رجلا ضخما تبدو عليه الصلابة ، يتحدث بلهجة بطيئة ولكن عينيه تلمعان ببريق الذكاء أدى "كروسفيلد" التحية لرئيسه الذي قدمه لضيفيه .. لو أن "ساترزويت" جاء وحده لما نجح في انتزاع الكلمات من

فم الكولونيل "كروسفيلد" ولكن مفتش الشرطة كان من رواد المسرح ، وقد أسعده أن يلتقي بشخصية ممثل كبير مثل سير "تشارلز كارترهوايت"، وبعد أن امتدح مفتش الشرطة الممثل الكبير وعدد مسرحياته التي شاهدها وأعجب بها . قال سير "تشارلز":

– أنت تعلم أنني تقاعدت واعتزلت المسرح الآن .. ولكنهم لا يزالون يذكرون اسمي في مسرح "بول مول" .. أخرج سير "تشارلز" بطاقة من جيبه قدمها لـ"كروسفيلد" قائلا:

– قدم لهم هذه البطاقة في المسرح وسيحجزون مقصورة لك ولزوجتك..

– هذا لطف كبير منك يا سير "تشارلز" .. سوف تسعد زوجتي غاية السعادة عندما تسمع الخبر .

أصبح منذ تلك اللحظة كقطعة العجين بين يدي الممثل السابق ، وقال "كروسفيلد" :

– هذه قضية بالغة الغرابة ياسيدي .. لم يسبق لي طوال مدة خدمتي أن سمعت عن التسمم بالنيكوتين .. كذلك الحال بالنسبة للدكتور "دافيز" .

– كنت أعتقد قبل ذلك أن الإفراط في التدخين يؤدي إلى نوع من المرض لاأكثر .

– كان هذا هو اعتقادي أنا أيضا .. ولكن الطبيب يقول : إن النيكوتين الخالص عبارة عن سائل لا رائحة له ، وإن بضع نقط منه تكفي لقتل إنسان في الحال . أطلق سير "تشارلز" صفيرا يعرب به عن دهشته وقال :

– سم فعال ! .

– هو كما تقول يا سيدي ، ورغم هذا فهو شائع التداول .. يستخدم كمحلول لرش النباتات ، ويمكن استخلاصه في التبغ العادي .. قال سير "تشارلز" مفكرا :

–رش الورود .. أين سمعت ذلك ؟ سأل الكولونيل "جونسون" :

– هل توصلت إلى معلومات جديدة يا "كروسفيلد"؟

– لا شيء له قيمة يا سيدي .. تلقينا تقارير تفيد أن ذلك الرجل "إيليس" قد

شوهد في "نورهام" و"ابسويش" و"بالهام" وفي عشرات الأماكن الأخرى .. ونحن نبذل قصارى جهدنا لتصفية هذه المعلومات .

التفت "كروسفيلد" نحو الرجلين قائلا:

– ما إن تذع نشرة بأوصاف مجرم مطلوب القبض عليه حتى تتلقى تقارير تفيد من أشخاص كثيرين رؤيته في مختلف أنحاء "انجلترا" .. أخرج "جونسون" نشرة وقرأ : "جون إيليس" ..متوسط الطول حوالي ٥أقدام و٧ بوصات ..لديه عرج خفيف ، رمادي الشعر، قصير السوالف ، عيناه سوداوان ، أجش الصوت .. لديه سنة ناقصة في الفك العلوى تشاهد بوضوح عندما يضحك .، ولا توجد به علامات مميزة. قال سير "تشارلز":

– أوصاف غير مألوفة ، وليس من السهل الاعتماد عليها .. قال "كروسفيلد" بانفعال:

– المشكلة أن الناس لا يلاحظون شيئا .. فالبعض يصف نفس الشخص بالطول والقصر ،والسمنة والنحافة .. لا يوجد واحد بين خمسين شخصا يستطيع أن يستخدم عينيه استخداما سليما .

– هل أنت مقتنع بينك وبين نفسك أن الرجل المطلوب هو "إيليس"؟

– لماذا هرب إذن ؟ هذه حقيقة لايمكن إغفالها.

قال سير "تشارلز" وهو يهز رأسه مؤمنا:

–هذه هي الصعوبة .. التفت "كروسفيلد "نحو الكولونيل " جونسون" وقدم له تقريرا عن الإجراءات التي تم اتخاذها ، وأومأ الكولونيل برأسه ثم طلب من مفتش الشرطة أن يعطيه القائمة التي تتضمن أسماء الأشخاص الذين كانوا موجودين داخل "ميلفورد أبي "ليلة وقوع الجريمة ، كانت القائمة ، تتضمن :" مارتا ليكي " – طاهية و "بياتريس تشيرشي" – خادمة غرف النوم.

" دوريس كوكر" – مساعدة الخادمة .. " وفيكتوريا بول" – مساعدة خادمة .

"أليس ويست" – خادمة المائدة وغرفة الاستقبال

"و فيوليت باسنجتون"

– مساعدة مطبخ .

(الأشخاص المذكورة أسماؤهم بعاليه كانوا في خدمة المتوفى لبعض الوقت وسمعتهم طيبة .. وأمضت مسز "ليكي" في الخدمة خمسة عشرعاما) .

"جلاديس ليندون" – سكرتيرة عمرها ٣٣سنة ، وكانت في خدمة سير "بارثلوميوسترينج "لمدة ثلاث سنوات ولا تستطيع أن تقدم معلومات عن الدافع لارتكاب الجريمة .. الضيوف :

لورد وليدي "إيدن" ..

سير "جوسلين"وليدي"كامبل" ..

و مس "أنجيلا ساتكليف" .كابتن و مسز "داكريس".. (تدير مسز "داكريس "محلا في شارع "بيرتون")

ليدي "ماري" و مس "هرميون ليتون جور" .

مس "موربيل ويلز"

مستر "أوليفرماندرز" قال سير "تشارلز" بدهشة :

أرى أن الشاب "ماندرز"كان موجودا هو الآخر.قال المفتش "كروسفيلد":

–كان وجوده نتيجة حادث وقع له .. اصطدمت سيارته بسور البيت وعرض عليه سير "بارثلوميو" الذي كان يعرفه معرفة سطحية أن يقضي الليلة في البيت .. قال سير "تشارلز" بمرح :

–كان ذلك إهمالا واضحا ..

– في تصوري أن الشاب أفرط قليلا في الشراب ،ولكن الشيء الذي يدهشني أن تصطدم سيارته بسور البيت في ذلك الوقت .

– قال سير "تشارلز":

– بسبب الإفراط في الشراب .

– الإفراط في الشراب .. هذا هو رأيي أيضا يا سيدي .

– حسن ..شكرا لك ياسيدي المفتش .. هل لديك اعتراض على أن نقوم بزيارة البيت يا كولونيل "جونسون"؟

– كلا بالطبع ياسيدي العزيز .. رغم أنني أخشى أنك لن تستطيع الحصول على معلومات أكثر مما قلته لك .

– هل يوجد أحد هناك ؟

قال "كروسفيلد": مجرد القائمين بالخدمة .. أما أصحاب المكان فقد تركوه بعد انتهاء التحقيق مباشرة ، وعادت مس "ليندون" إلى شارع "هارلي" وقال "ساترزويت":

– أ .. ربما ذهبنا لزيارة دكتور "دافيز" أيضا ..

– فكرة طيبة ..

وحصلا على عنوان الطبيب المحلي ثم شكرا الكولونيل "جونسون" وغادرا المكتب وبينما. هما يسيران في الطريق قال سير "تشارلز":

– ألديك أفكار يا "ساترزويت" ؟ قال "ساترزويت" مما طلا حتى يحتفظ برأيه للحظة الأخيرة:

– عن أي شيء ؟

قال سير "تشارلز" على العكس بلهجة التأكيد :

– إنهم مخطئون يا "ساترزويت" .. يسيرون في الاتجاه الخاطيء .. يدور كل تركيزهم على الخادم .. على أنه القاتل .. ولكن نظريتهم لا تستند إلى دليل مقنع .. فنحن لا نستطيع أن نسقط من حساباتنا الميتة الأخرى .. تلك التي حدثت في بيتي ..

–أما زلت مصرا على وجود صلة بين الحادثتين؟

– لاشك أنهما متصلتان .. كل الأدلة تشير إلى ذلك .. يجب أن نبحث عن العنصر المشترك .. من الذي كان موجودا في كلتا المناسبتين ..

– نعم .. ولن يكون ذلك سهلا كما تتصور .. حيث يوجد كثير من العناصر المشتركة .. ألا ترى يا "كارترهوايت" أن جميع الأشخاص على وجه التقريب كانوا حاضرين في المناسبتين ؟ أومأ سير "تشارلز" برأسه وقال :

– لقد أدركت ذلك بالطبع .. ولكن ألا تستطيع أن تستنتج شيئا من هذه الحقيقة ؟

– لا أفهم ما تعنيه على وجه التحديد ..

– هل ترى ما حدث مجرد مصادفة ؟

– كلا .. كان ذلك مقصودا .. لماذا كان جميع الاشخاص الموجودين عند وقوع الوفاة الأولى موجودين في الثانية ؟ مجرد مصادفة ؟ كلا .. كان ذلك في إطار خطة .. تدبير – خطة "تولي".

قال "ساترزويت" بدهشة :

– أوه ! نعم .. هذا محتمل ..

– بل مؤكد .. لم تكن تعرف "تولي" مثلما أعرفه يا "ساترزويت" .. كان رجلا يحتفظ لنفسه بآرائه وكان صبورا للغاية .. لم أر "تولي" طوال الفترة التي عرفته فيها يتسرع في إصدار حكم أويبدي رأيا طائشا .. انظر إلى القضية من هذه الزاوية .. لقد لقي "بابنجتون" مصرعه .. نعم .. لقد قتل .. أقول ذلك دون أي تحفظ .. وقد سخر "تولي" مني عندما قلت هذا الرأي ولكنه كان يشك في نفس الوقت ويحتفظ بشكوكه لنفسه .. وظل عقله يعمل في الخفاء ببطء وأناة .. ربما لم يكن يرتاب في شخص معين ولكنه رسم خطة .. فلنقل إنه أجرى اختباراً من نوع معين لكي يتوصل إلى حقيقة ذلك القاتل .

– وماذا بشأن الضيوف الآخرين ؟ عائلة "إيدن" وعائلة "كامبل" ؟

– مجرد تعمية .. لكي يجعل الحقيقة أقل وضوحا ..

– وكيف تتخيل الخطة التي أعدها ؟

هز "سير "تشارلز" كتفيه وقال :

– ومن أين لي أن أعرف ؟ لست ساحرا .. ولا أستطيع التخمين .. ولكن كانت هناك خطة .. ولكن الخطة لم تنجح لأن القاتل كان على درجة أكبر من الذكاء الذي تخيله "تولي" .. وقد بادر القاتل بتوجيه الضربة ..

– تقول هو؟

– أو هي .. فالسم هو السلاح الذي تستخدمه المرأة أكثر من الرجل ..

التزم "ساترزويت" الصمت ، واسترسل سير "تشارلز" يقول :

– ألا تتفق في الرأى معي أم أنك في جانب الرأي العام ؟ في رأيي أن الخادم هو القاتل .. هو الذي ارتكب الجريمة .

– وما تفسيرك لذلك ؟

– أنا لم أفكر فيه .. ومن وجهة نظري لا أهمية للخادم .. ولكنني أستطيع أن أخمن تفسيرا ..

– مثل ماذا؟

– فلنقل إن رجال الشرطة على حق .."إبليس" مجرم محترف .. يعمل بالاشتراك مع عصابة من اللصوص تمكن "إبليس " من الحصول على الوظيفة بشهادات مزورة ثم قتل "تولي" بعد ذلك ..ما موقف "إبليس " ؟ قتل رجل في البيت .. ويوجد في البيت رجل بصمات أصابعه مسجلة في "اسكتلا نديارد" ومعروف للشرطة ..من الطبيعي أن تتوتر أعصابه ويطلق لساقيه الريح .

– عن طريق الممر السري ؟.

– ليذهب الممر السري إلى الجحيم.. انتهز فرصة غفلة واحد من رجال الشرطة وتسلل إلى الخارج .

– هذه نظريةتبدو مقبولة .

– حسن يا "ساترزويت".. ما وجهة نظرك ؟

– وجهة نظري؟ إنها نفس وجهة نظرك ..يبدو لي أن ذلك الخادم أحمق .. أعتقد أن سير "بارثلوميو" و مستر "بابنجتون"لقيا حتفهما على يد الشخص نفسه .

– تعني واحدا من المدعوين إلى الحفل ؟

– نعم ..

خيم الصمت لمدة دقيقة أو دقيقتين ، ثم سأل "ساترزويت " بطريقة عابرة :

– من هو الشخص من وجهة نظرك؟

– يا إلهي يا "ساترزويت" ..من أين لي أن أعرف؟

–أنت لا تستطيع أن تقول بالطبع .. ولكن لا شك أن فكرة خطرت ببالك .. ربما مجرد شكوك لا تستند إلى دليل ولكنك تستطيع أن تخمن . فكر "سير تشارلز" قليلا ثم قال :

– أنت تعلم يا "ساترزويت " أنك في اللحظة التي تفكر فيها جديا في الأمر

يبدو لك استحالة أن يرتكب أي أحد من الموجودين الجريمة

قال "ساترزويت" ضاحكا :

– أعتقد أن نظريتك صحيحة .. عندما نستعرض أسماء جميع الحاضرين فلابد أن ندخل في حسابنا استبعاد مجموعة من الأشخاص بصورة قاطعة .. أنت وأنا على سبيل المثال ومسز "بابنجتون" .. وكذلك "ماندرز" الشاب يمكن استبعاده ..

– "ماند رز" ؟

–كان ظهوره في الحفل نتيجة حادث .. لم توجه إليه الدعوة للحضور ولم يكن أحد يتوقع وصوله .و هذا يخرجه من دائرة المشتبه في أمرهم .

– والكاتبة المسرحية أيضا "أنتوني أستور".

– كلا ..كلا ..لقد كانت موجودة .. مس "موريل ويلز"

– آه ..لقد كانت موجودة .. نسيت أن اسمها " ويلز" عبس سير "تشارلز" وكان مستر"ساترزويت" بارعا في قراءة أفكار الناس ، واستطاع أن يخمن ما يدور في ذهن الممثل ، وعندما بدأ يتكلم أحس "ساترزويت" بالزهو

قال سير "تشارلز":

– أنت على حق يا "ساترزويت " لا أعتقد أنه وجه الدعوة للاشخاص الذين يشتبه فيهم وحدهم .. لأن – ليدي "ماري "و"ايج" كانتا هناك .كلا .. كان يريد أن يجري تجربة بالنسبة لما حدث في المرة الأولى .. كان يرتاب في شخص معين ، ولكنه كان يريد حضور مجموعة من شهود العيان لتتأكد ظنونه .. حدث شيء من هذا القبيل ..

قال "ساترزويت " بعد هنيهة :

– يستطيع الإنسان أن يعمم فوق خشبة المسرح فحسب .. حسن .. نستطيع أن نستبعد ليدي "ماري ليتون جور" وابنتها .. كذلك أنا وأنت ومسز "بابنجتون " و"أوليفر ماندر" من يتبقى بعد ذلك؟ "أنجيلا ساتكليف"؟

– "إنجي" ؟ الفتاة العزيزة .. لقد كانت صديقة لـ "تولي" منذ سنوات طويلة.

– معنى هذا أن المتبقى مستر ومسز "داكريس" .. أنت في الواقع يا "كارتر

هوايت "تشتبه فيهما .. كنت تستطيع أن تقول ذلك عندما سألتك . حملق سير "تشارلز" إلى وجهه ولم يجب . وأحس "ساترزويت" بالزهو والانتصار ، وقال سير "تشارلز" ببطء :

– لست أشك فيهما في الواقع .. لكن كفتهما تبدو أرجح من غيرهما .. أنا لا أعرفهما معرفة جيدة .. ولكنني لا أجد سببا واحدا يدفع "فريدي داكريس" الذي يقضي معظم وقته في سباق الخيل ، أو "سينثيا" التي تنفق كل وقتها في تصميم الأزياء باهظة الثمن .. لا أرى دافعا مقبولا يجعل أحدهما يفكر في التخلص من رجل دين عجوز لا أهمية له على الإطلاق .. هز رأسه بإصرار ثم التمع وجهه فجأة وقال :

– هناك تلك السيدة "ويلز" .. ها قد نسيتها مرة أخرى .. ما السبب الذي يجعلك تنساها في كل مرة ؟ إنها أكثر الأشخاص الذين عرفتهم شذوذا وغرابة أطوار .. ابتسم "ساترزويت" وقال:

– أعتقد أن مس "ويلز" تقضي وقتها في كتابة المذكرات .. وأرى أن تلكما العينين المتسترتين وراء عدسات النظارة لا تغفلان عن شيء .. وأعتقد أنها سجلت أي شيء يستحق التسجيل . قال سير "تشارلز" بارتياب:

هل تعتقدذلك حقا؟

– أعتقد أن الشيء التالي الذي يجب أن نفعله هو أن نتناول الغداء .. وبعد ذلك نذهب إلى "ميلفورد أبي" لنرى ما نستطيع أن نستكشفه في الموقع .

–أنت تأخذ الأمر ببساطة يا "ساترزويت" ..

– ليس إماطة السر عن الجريمة بالشيء الجديد علي ...

– ٣ –

بدا لأعين الرجلين الموقع الذي يقع فيه بيت "ميلفورد أبي" حيث لقي الطبيب الراحل مصرعه في ذلك الوقت من سبتمبر (أيلول) .. وكانت بعض أجزاء البيت مبنية على طراز القرن الخامس عشر ، وتم تجديد المبنى وإضافة منشآت حديثة له حتى يناسب المصحة .. كان مبنى المصحة غير ظاهر من الخارج . استقبلت مسز "ليكي" الطاهية الطارقين وكانت الطاهية مرتدية

ملابس الحداد والدموع في عينيها ، وكانت تعرف سير "تشارلز" جيدا ، ووجهت له معظم الحديث وقالت له دامعة العينين:

– إنني واثقة أنك تفهم ياسيدي كيف كان وقع الحادث على نفسي .. ثم امتلاء البيت برجال الشرطة وفحصهم لكل ركن .. ووابل الأسئلة التي أمطروا بها الجميع لقد عشت حتى أرى مثل هذا الشيء .. الطبيب .. الجنتلمان الهادئ .. كان يوم الحفل من الأيام التي نفخر بها .. حتى "بياتريس" التي التحقت بخدمة الطبيب بعدي بعامين لا تستطيع أن تنسى ما حدث في ذلك اليوم المفجع .. سكتت "ليكي" هنيهة لتلتقط أنفاسها ، ثم استأنفت حديثها قائلة :

– سيل من الأسئلة عن الخادمات اللائي يعملن في البيت .. رغم أنه لاغبار على أي واحدة منهن .. وإن كانت "دوريس" تستيقظ في الصباح متأخرة وكنت ألفت نظرها لذلك مرة على الأقل كل أسبوع ، وكانت فيكي مهملة بعض الشيء ولكن ماذا تنتظر من شابات غير مدربات .. ومع هذا "فكلهن" طيبات وليس لدي غير هذا أقوله للشرطة .. نعم قلت لمفتش الشرطة : لا تنتظر مني أن أقول شيئا ضد واحدة منهن .. ولا توجد صلة بين إحداهن والجريمة التي وقعت .. سكتت "ليكي" هنيهة ثم أردفت تقول :

– أما بالنسبة لـ "ايليس" فالأمر يختلف .. لا أعرف شيئا عن مستر "ايليس" ولم يكن باستطاعتي أن أجيب على أي سؤال بشأنه .. لقد جاء من "لندن" وهو غريب عن المكان في حين كان مستر "بيكر" في إجازة.

سأل "ساترزويت" بدهشة :

– "بيكر" ؟

– كان مستر "بيكر" الوصيف الخاص لسير "بارثلوميو" خلال السنوات السبع الماضية .. وكان الطبيب يقضي معظم وقته في "لندن" في "هارلي ستريت" .. هل تذكره ياسيدي؟ نظرت تجاه سير "تشارلز" الذي أومأ برأسه وقال:

– كان سير "بارثلوميو" يحضره معه إلى هنا كلما أقام حفلا ، ولم تكن

صحته جيدة لهذا أعطاه سير "بارثلوميو" إجازة لمدة شهرين مدفوعة الأجر. كان الطبيب رجلا رقيقا .. وقد استخدم مستر "ايليس" لفترة مؤقتة ..لهذا قلت لمفتش الشرطة إنني لا أعرف شيئا عن مستر "إيليس" سألها سير "تشالز" :

- ألم تلاحظي شيئا غير عادي فيه ؟

- هذا سؤال غريب في الواقع ياسيدي ..لأنني لاحظت ولم ألاحظ ..

نظر إليها "تشارلز" مشجعا وتابعت حديثها قائلة :

- كان من ناحية رجعيا .. ولكنه مؤدب للغاية لأنه خدم في بيوت كبيرة .. ولكنه كان منطويا على نفسه يقضي أغلب الوقت في غرفته ..طلب منها مستر "ساترزويت" أن تصف الخادم وقالت :

- كان منظره يوحي بالاحترام الشديد .. سوالف قصيرة وشعر رمادي .. كان .. كان يعرج قليلا .. ترتعد يده .. في عينيه بعض الضعف ربما لأن الضوء يؤذيه .. عندما كان يقضي وقته معنا كان يلبس نظارة طبية ولكنه لم يكن يستخدمها في أوقات العمل . سألها سير "تشارلز" عما إذا كانت به علامات مميزة كندبة أو إصبع مفقود أو شامة وأجابته بالنفي.. هز سير "تشارلز" رأسه أسفا وهو يقول :

- في الروايات البوليسية توجد دائما علامة مميزة .. قال "ساترزويت" :

- إن إحدى أسنان الخادم مفقودة وقالت الطاهية إنها تتذكر ذلك .وسألها "ساترزويت" عن سلوك الخادم في ليلة المأساة وقالت إنها كانت مشغولة في المطبخ ولم تلاحظ شيئا وأضافت :

- عندما تلقينا خبر موت السيد اندفعنا جميعا وأنا أبكي وكذلك "بياتريس" .. كان الجميع متأثرين ولكن "إيليس" كان هادئا ربما لأنه حديث عهد بالخدمة .. وقد أصر على أن أشرب أنا و"بياتريس" كأسا من الشراب لنهدىء أعصابنا .. وكان الوغد .. تعثرت الكلمات على شفتيها وسألها سير "تشارلز" عما إذا كان قد اختفى في تلك الليلة وقالت :

- نعم .. انسحب إلى حجرته ولم نره في الصباح .

- ألديك فكرة عن الطريقة التي غادر بها البيت ؟

- كلا..

- سمعتهم يتحدثون عن سرداب سري ..

- هذا ما يقوله رجال الشرطة ..

سألها سير "تشارلز" عما إذا كان يستطيع أن يتحدث مع بقية الخدم وأخبرته أنهم لا يستطيعون أن يزودوه بمعلومات أكثر مما قالته وعندما كرر سير "تشارلز" طلبه استدعت "بياتريس" ، وأجابته عن سؤال عن رد الفعل الذى حدث بعد إعلان موت سير "بارثلوميو"، قالت :

- كانت مس "ساتكليف" منهارة تماما . سبق أن زارت البيت من قبل ..أما مسز "داكريس" فقد تلقت النبأ بهدوء وكانت ترغب في ترك المكان بسرعة ، أما زوجها فقد كان يهدىء أعصابه بتناول الشراب .. أما ليدي "ماري" وابنتها فقد هزتهما الفجيعة .

- ومس "ويلز"؟

- لا أستطيع أن أحكم على مشاعرها ياسيدي . عندما شجعها سير "تشارلز" على الكلام قالت إن مس "ويلز" كانت تتصرف تصرفات تقل عن مستوى الآخرين كانت تتلصص وتتجسس ، وسألها "ساترزويت" عن مستر "ماندرز" وقالت :

- لقد وصل فجأة بعد أن حدثت لسيارته حادثة بالقرب من البيت ..

- هل دهش الجميع لدى ظهوره ؟

- بالطبع ياسيدي .. وعند سؤالها عن "إيليس" لم تقل شيئا وإن كانت مندهشة للسبب الذي يدفعه لإيذاء سيده وعندما سئلت عن الحالة النفسية للطبيب قالت إنه كان مبتهجا وإنه على خلاف عادته مزح مع "إيليس" عندما جاء يخبره أن سيدة تطلبه تليفونيا من المصحة ، وذكر اسما غريبا.. حاولت الخادمة أن تتذكر الاسم وقالت :مسز "راشبريدجر". هز سير "تشارلز" رأسه قائلا:

- اسم غريب ..شكرا لك يا "بياتريس" ..هل نستطيع أن نقابل "أليس" الآن؟

عندما غادرت "بياتريس" الغرفة تبادل سير "تشارلز" و"ساترزويت" النظرات وقال سير "تشارلز":

– كانت مس "ويلز" تتلصص وتتجسس .. وانغمس الكابتن "داكريس" في الشرب ولم تظهر مسز "داكريس" أي عاطفة .. ألا تستخلص شيئا من ذلك ؟ نرجو أن تضيف "أليس" شيئا إلى معلوماتنا .

– كانت "أليس" شابة سوداء العينين في الثلاثين من عمرها ، كانت سعيدة للتحدث معها ، لم تكن تشارك الشرطة رأيهم بالنسبة لمستر "إيليس" حيث تراه مهذبا ، وقالت إن الخادم لم تكن لديه أدنى فرصة لدس السم في كئوس الشراب لأنها كانت تحمل الصينية وتصاحبه أثناء توزيع الكئوس ، وسألها سير "تشارلز" :

– هل أنت واثقة من أن الطبيب لم يأكل أو يشرب شيئا غير الذي تناوله الجميع ؟

– كلا ..لم أره في الواقع يفعل شيئا كهذا ..

هل تعرفين شيئا عن ممر سري في البيت ؟

– حدثني البستاني عن شيء كهذا ولكنني لم أره ..

– ألم يذكر "إيليس" شيئا عن الممر؟

– كلا .. أنا واثقة من أنه لم يكن يعرف شيئا عن هذا الممر .

– هل تعتقدين أنه قتل سيدك ؟

– لا أصدق أن أحدا يفعل شيئا كهذا .ربما كانت مصادفة ..

عندما خرجت "أليس" قال سير "تشارلز" إنه لولا موت "بابنجتون" لصدق أن ما حدث للطبيب كان مصادفة .. وفي هذه الحالة كان يشك في أن الخادمة الشابة هي القاتلة لأنها جميلة وربما .وقال "ساترزويت" :

– ولكنه كان في الخامسة والخمسين من عمره وليس يعقل أن يفكر في هذه السن .. قاطعه سير "تشارلز" قائلا بعصبية:

– لا تنس يا "ساترزويت" أنني أشرف على الثانية والخمسين من عمري ..

قال سير "تشارلز" ذلك وتضرج وجهه بحمرة الخجل .. عرض "ساترزويت"

فحص غرفة "إيليس" قائلا إنهم ربما عثروا على شيء لم يتنبه له رجال الشرطة ، وقال سير "تشارلز" باحتقار :

– الشرطة ؟! إنهم أغبياء ..عندما فحصوا الغرفة كانوا يبحثون عن دليل للاتهام ، أما نحن فسوف نبحث عن دليل للبراءة .

لم يكن منظر الغرفة يوحي بشيء واتضح أن "إيليس" ترك ملابسه في أماكنها مما يؤكد أنه خرج مرتديا الزي الرسمي للخدم ، وعندما أبدى "ساترزويت" دهشته لذلك قال سير "تشارلز":

– نعم ..هذا تصرف غريب ..يوحي كما لو أن الخادم لم يغادر البيت قط .. ولكن هذا هراء .. استأنفا البحث ولم يعثرا على خطابات أو أوراق فيما عدا قصاصة من إحدى الصحف عن علاج بثور القدم .. وفقرة تشير إلى قرب زواج ابنة أحد الدوقات ، وعثرا على نشافة أوراق وزجاجة حبر ، وانتزعا الورقة من النشافة لعلهما يستطيعان قراءة ماعليها من الكتابة إلا أنهما لم يظفرا بطائل .وقال "ساترزويت" :

– إما أنه لم يكتب أي خطابات منذ مجيئه أو أنه لم يستخدم ورق النشاف..

– هروبه يؤكد أنه يخفي سرا ولكن الذي أستطيع أن أقوله إنه: لم يقتل "تولي"

انحنيا ليفحصا الأرض والسجاد ولم يكتشفا سوى بقعة حبر بالقرب من المدفأة ..اضطرا في النهاية لمغادرة البيت أسفين على الوقت الذي ضاع بدون فائدة ، واستسلم كل منهما لأفكاره ، "ساترزويت "يفكر في أقوال الخدم وقلة المعلومات التي حصلا عليها ، وسير "تشارلز" يفكر فيما قيل عن تلصص مس "ويلز" وتجسسها ، وأن مس "ساتكليف" كانت شديدة الاضطراب بينما كانت مسز "داكريس" هادئة تماما في حين انغمس زوجها في الشراب ، حاول أن يستخلص من ذلك شيئا ولكنه لم يستطع التوصل إلى شيء . وسأل "ساترزويت" عن رأيه وقال بعد تفكير:

– يبدو أن كل ما نعرفه عن "إيليس" أنه كان يعاني تورماً في قدمه .

ابتسم سير "تشارلز" وقال باستخفاف :

– وبماذا تفيدنا هذه الملاحظة ؟
هز "ساترزويت" كتفيه دون أن يجيب ثم قال بعد تردد:

– الشيء الوحيد الذي أثار اهتمامي هو ما قيل عن مزاح سير "بارثلوميو" مع الخادم رغم أن ذلك مخالف لطبعه ..

– أنا أكثر منك معرفة بطباع "تولي" ..لم يكن ليتصرف مثل هذا التصرف لولا أنه كان في حالة غير طبيعية في تلك اللحظة .. أنت محق في هذا يا "ساترزويت" .. هل تذكر متى حدثت هذه الواقعة ؟ بعد أن أخبره "إيليس" بالمحادثة التليفونية .. وهذا يجعلني أستنتج أن الأمركان يتعلق بهذه المكالمة .. هل تذكر أنني سألت الخادمة عن المتحدث وأنها قالت إنها سيدة تدعى مسز "راشبريدجر" وصلت لتوها إلى المصحة .. ولكنني لا أعتقد أن هذا أمر يثير أعصاب الطبيب .. قال "ساترزويت" شارد اللب :

– ربما كان لذلك معنى لا نعرفه ..

– يجب أن نبحث عن هذا المعنى ..ربما كانت مكالمة شفرية تعني شيئا معينا .. لو أن "تولي " كان يتحرى عن أسباب موت "بابنجتون " فلعل المكالمة كانت تدور حول ذلك الموضوع .. ربما استأجر مخبراً خاصا وقال له كلاما يتفق مع شكوكه مما أبهج نفسه وجعله يمزح مع الخادم . سأل "ساترزويت" باهتمام :

– هل تعتقد أنه لا توجد شخصية حقيقية باسم المسز "راشبريدجر" ؟

– حسن .. أعتقد أنه يجب علينا أن نتحقق من ذلك .

بينما كانا في طريقهما إلى المصحة سأل "ساترزويت" الممثل عما إذا كانت زيارته لبيت الطبيب قد أوحت له بشيء وقال سير "تشارلز" :

– نعم ..هناك شيء .. ولكن – يا إلهي – .... إنني أحاول أن أتذكر ولكن– لا أستطيع أن أتذكره الآن . نظر إليه "ساترزويت" بدهشة وأردف الممثل يقول :

– كيف أفسر لك الامر ؟ رأيت خطأ ما ولكنني أسقطته وقتها من تفكيري ،،وكلما حاولت الآن تذكره ابتعد أكثر وأكثر ..

كانت كبيرة المرضات تعرف سير " تشارلز" بالاسم ، وأخبرها أنه عائد لتوه من الخارج ولقد انزعج عند سماع أخبار موت سير"بارثلوميو" ، وأنه قد جاء ليعرف تفاصيل الحادث ، تحدثت كبيرة المرضات عن الطبيب الراحل بتأثر شديد وقالت إن له شريكين يقيم أحدهما في المصحة وأن سير "بارثلوميو" كان شديد الاعتزاز بالمصحة ، وأن أغلب الحالات التي كان يعالجها تتصل بالأعصاب ، وقال سير "تشارلز" :

– يذكرني هذا بشخص التقيت به في "مونت كارلو" وأخبرني أن إحدى قريباته سوف تأتي إلى هنا .. نسيت الآن اسمها .. اسم غريب

– راشبريدجر – شيء من هذا القبيل ..

– لعلك تعنى مسز "راشبريدجر" ؟

– هذا هو الاسم .. هل هي موجودة هنا الآن ؟

– أوه .. نعم .. ولكنها لن تستطيع مقابلتك لبعض الوقت ، إنها تعالج في الوقت الحاضر تحت نظام من العلاج الصارم .. غير مسموح لها بمقابلة الزوار..

– أهي في حالة سيئة ؟

– تعاني من انهيار عصبي حاد وفقدان للذاكرة وإرهاق شديد .. ولكننا سوف نعمل على شفائها . عندما سألها سير "تشارلز" عما إذا كانت صديقة للطبيب فضلا عن كونها واحدة من مرضاه قالت كبيرة المرضات :

– لا أظن ذلك يا سير "تشارلز" ..كانت قد وصلت لتوها من جزر الهند الغربية ، والشيء الغريب أنه رغم تعقيد اسمها فقد تمكن خادم السير "بارثلوميو" من تذكر الاسم ..

– هل جاء زوجها معها ؟

– كلا .. لايزال في جزر الهند الغربية .

– يبدو أنني خلطت بينها وبين حالة أخرى.. هل كانت من الحالات التي يوليها الطبيب عناية خاصة ؟

– حالات فقدان الذاكرة شائعة ولكنها تثير اهتمام الطبيب دائما ، لأنه قلما

تتشابه حالتان .

– شكرا لك .. أنا سعيد لحديثي معك .. وأنا أعرف جيدا كيف كان سير "بارثلوميو" يقدرك .. طالما حدثني عنك ..

– أنا سعيدة لسماع ذلك .كان طبيبا عظيما وقد فقدناه . وكيف ؟ بجريمة قتل .. ذلك الخادم الفظيع .. أرجو أن تتمكن الشرطة من إلقاء القبض عليه .

أثناء خروجهما من المصحة توقفا قليلا أمام الجزء من السور الذي اصطدمت به الدراجة النارية التي كان يركبها " أوليفر ماندرر" ، وأمطر "ساترزويت"الحارس بوابل من الأسئلة وقال الحارس إنه لم ير الحادث وقت وقوعه ولكنه سمع الصوت وجاء على أثره ليرى ماحدث ، ووجد الشاب واقفا على قدميه لم يصب بأذى مكتفيا بالنظر إلى دراجته المحطمة ، وسأل الحارس عن اسم المكان وعندما سمع أنه للسير "بارثلوميو سترينج " قال بسرور : هذا من حسن الطالع .. ثم توجه نحو البيت .. وقال "ساترزويت " مفكرا:

– كان حادثا غريبا .. تطلع حوله ولم يجد منحنى خطيرا أو مفترقا للطرق أو أي عائق يمكن أن يتسبب في انحراف الدراجة النارية وارتطامها بالسور، وسأله سير "تشارلز" بفضول :

– ما الذي يدور بذهنك يا "ساترزويت"؟

– لا شيء .. لاشيء ..

– إنه أمر غريب حقا..

توجها نحو السيارة التي كانت في انتظارهما وكل منهما يفكر في الموقف .. لم تكن رسالة شفرية كما تخيل "ساترزويت" .. ولكن ماذا بشأن السيدة نفسها ؟ هل كانت شاهدة على شيء معين ؟ أم هي حالة خاصة أثارت انتباه الطبيب ؟ هل كانت سيدة جذابة ؟ هل يمكن أن يقع رجل في الخامسة والخمسين من عمره في غرامها ؟ انقطعت أفكار "ساترزويت" فجأة عندما قال له سير "تشارلز" :

– "ساترزويت " .. هل تمانع في أن نعود إلى المصحة ؟ وبدون أن ينتظر

ردا أصدر أوامره للسائق بالعودة ، وسأله "ساترزويت" بدهشة :

–ماذا حدث ؟

– لقد تذكرت .. تذكرت الشيء الذي بدا وقتها غريبا .. إنها بقعة الحبر التي كانت موجودة على أرضية غرفة الخادم..

* * *

– ٤ –

قال سير "تشارلز" في أثناء الطريق :

– إن بقعة الحبر التي كانت على الأرض بالقرب من المدفأة كانت صغيرة لا يمكن أن تنتج عن انسكاب زجاجة الحبر وإنما عن وقوع قلم الحبر وأضاف :ونحن لم نعثر على قلم حبر. وإذا كانت هذه البقعة قد حدثت فلأن القلم كان مرفوع الغطاء لأن الخادم كان يكتب شيئا وهذا ما سوف نتحقق منه .. برر سير "تشارلز" عودته بأنه نسي قلمه في غرفة الخادم ، وعندما سمح لهما بالعودة إلى الحجرة وأغلقا الباب وراءهما قال سير "تشارلز":

– سوف نرى الآن ما إذا كانت فكرتي وجيهة أم أنها كانت مجرد هراء ؟.

جلس "ساترزويت" على حافة السرير مكتفيا بمراقبة سير " تشارلز" وهو يفحص مكان بقعة الحبر ويستعرض الغرفة بنظراته ، وقال في النهاية إن الإنسان لا يلقي بالقلم على الأرض إلا إذا ثارت أعصابه كأن يجف الحبر ويرفض السن الكتابة ، وقال "ساترزويت" إن القلم ربما انزلق وسقط على الأرض ، وبدأ سير "تشارلز" يجري مجموعة من التجارب وهو يجعل القلم ينزلق من فوق حاجز المدفأة ولكنه لم يره يصل في أي تجربة إلى مكان بقعة الحبر .قال بضيق :

– هذا مستحيل ..

سكت هنيهة ثم قال مفكرا:

– ربما كان يحرق بعض الأوراق .. استمتع "ساترزويت" خلال الدقائق التالية بمشاهدة سير "تشارلز" وهو يستعرض مواهبه كممثل منتحلا شخصية الخادم .كان سير " تشارلز" شاردا اللب وهو يستعرض الحجرة

بنظراته القلقة ثم رفع عينيه فجأة كأنه سمع وقع خطوات في الممر .. كان ضمير الرجل يشعر بالإثم وقفز من مكانه ممسكا الورقة التي كان يكتبها في يد والقلم في اليد الأخرى ، واجتاز الغرفة متجها نحو المدفأة ورأسه نصف ملتفت في يقظة إلى الخارج ، في خوف .. حاول أن يدس الورقة خلف المدفأة ولكي يتمكن من استخدام كلتا يديه رمى القلم فسقط حيث كانت بقعة الحبر .. عندئذ صفق له "ساترزويت" قائلا باعجاب :

– برافو.

قال سير "تشارلز" بزهو :

– هل رأيت ؟ عندما سمع ما تخيل أنهم رجال الشرطة فكر في إخفاء الورقة .. أين يخفيها ؟ خلف المدفأة .. هذه فرصته الوحيدة .. وسوف نفتش هذا المكان لنرى ما إذا كانت افتراضاتنا صحيحة .. خلع سير "تشارلز" سترته ودس يده في الفجوة خلف المدفأة وأشرق وجهه بالسرور عندما لمست يده مجموعة من الأوراق المطوية أخرجها بحذر .. كانت مجموعة من الخطابات مكتوبة بخط صغير أنيق .. كان الخطاب الأول يقول : "معنى هذا أن كاتب هذه الرسالة لا يريد أن يسبب حزنا ، لأنه ربما كان مخطئا في تفسير ما رآه الليلة ، ولكن – ". كان من الواضح أن الكاتب لم يكن راضيا عما كتبه ، لهذا توقف عن اكمال الخطاب وبدأ يكتب من جديد :

"يقدم "جون إيليس" الخادم تهانيه ويسعده أن يحظى منكم بلقاء قصير حول مأساة الليلة قبل أن يتقدم بمعلوماته للشرطة .." ويبدو أن هذه الصيغة لم تعجبه فحاول من جديد : لدى "جون إيليس" بعض المعلومات حول موت الطبيب .. إنه لم يتقدم بعد بما لديه من معلومات للشرطة .." استخدم الخادم في الرسالة التالية صيغة ضمير الغائب : "إنني أعرف كيف مات الطبيب .. لم أقل حتى اللحظة شيئا لرجال الشرطة .. لو أنك قابلتني – انتهى الخطاب عند هذا الحد وكانت الكلمات الأخيرة مهزوزة نتيجة لاستخدام ورقة النشاف مما يوحي بأن الخادم سمع صوتا في تلك

اللحظة أفزعه ومن ثم سارع إلى طي الورق وإخفائه ، وقال "ساترزويت" بإعجاب :

– دعني أهنئك يا "كارترهوايت" .. كانت نظريتك حول بقعة الحبر سليمة .. والآن دعنا نرى أين نقف ؟ كان "إيليس" وغدا كما تخيلنا ولكنه ليس القاتل إلا أنه يعرف ذلك القاتل وكان يستعد لابتزاز المال منه أو منها

– قاطعه سير " تشارلز" بقوله :

– هو أو هي .. شيء مثير للضيق ألا نعرف ما إذا كان رجلا أم امرأة؟ يبدو أن الخادم كان فنانا يختار ألفاظه بعناية .. لو أنه كشف لنا عن الشخصية التي يخاطبها ..

– رغم كل شيء نحن نتقدم .. هل تذكر أنك قلت إننا نبحث عن دليل لبراءة "إيليس" وقد عثرنا عليه .. تدل هذه الرسائل على براءته من جريمة القتل .. كان عديم الشرف وليس قاتلا .. لم يقتل سير "بارثلوميو" وإنما ارتكب الجريمة شخص آخر .. الشخص الذي قتل "بابنجتون" أيضا .. أعتقد أن رجال الشرطة يجب أن يقفوا على ما توصلنا إليه .

– هل تريد أن نخطر الشرطة بما اكتشفناه ؟

– لا أرى حلا آخر .. لماذا نخفي عنهم ذلك؟

– حسن .. كيف أوضح لك وجهة نظري ؟ إننا نعرف الآن ما لا يعرفه سوانا .. تبحث الشرطة عن "إيليس" ظنا منهم أنه القاتل .. يعتقد الجميع أنه القاتل وهكذا يتصور القاتل الحقيقي أنه في أمان .. أليس من المؤسف أن نقلب هذا الوضع رأسا على عقب ؟ أليست هذه فرصتنا ؟ أعني فرصة اكتشاف الصلة بين "بابنجتون" وواحد من هؤلاء الناس .. لاأحد يربط بين هذه الجريمة وموت "بابنجتون"

– فهمت ما تعنيه وأوافقك على وجهة نظرك ولكن واجبنا كمواطنين أن نخطر الشرطة بما يتوافر لنا من معلومات .. ليس من حقنا أن نخفي عنهم هذه المعلومات . هز سير "تشارلز" رأسه وقال في ضيق :

– أقدر فيك نزعة المواطن الصالح ،ولكن لا ضرر في أن نحتفظ بمعلوماتنا لأنفسنا لمدة يوم أو يومين .. ولكن لا بأس .. سأنفذ رغبتك .

– أنت تعرف أن المفتش "جونسون" صديقي ..

– حسن .. ولكن لا تنس أن رجال الشرطة فتشوا الغرفة ولم يكتشفوا الخطابات لأنهم أغبياء .. والآن .. هل لديك فكرة عن مكان "إبليس" الآن؟

– أعتقد أنه نال ما كان يسعى إليه .. أخذ المال واختفى تماما ..

– نعم .. أعتقد أن هذا ما حدث .إنني لا أحب هذه الغرفة .. هيا بنا نغادرها ..

عاد سير "تشارلز" ومستر "ساترزويت" إلى لندن مساء اليوم التالي ولم يكن رئيس شرطة "كروسفيلد" سعيدا لنجاح رجلين من المدنيين في اكتشاف ما عجز مساعدوه عن التوصل إليه .. وأدى ذلك الاكتشاف إلى عزم الكولونيل "جونسون" على الاتصال بشرطة "لوماوث" لإعادة التحقيق في موت "بابنجتون" وقال سير "تشارلز" أثناء توجههما إلى "لندن":

– لو أنهم اكتشفوا أن القس مات بسبب التسمم بالنيكوتين فسوف يقتنع رجال الشرطة بوجود صلة بين حادثي الوفاة ..

لم يكن سير "تشارلز" مرتاحا لما أفضى به للشرطة وحاول "ساترزويت" تهدئته .وعند وصولهما إلى "لندن" قال سير "تشارلز" إنه قرر الاتصال بـ "ايج ليتون جور" وإنه يرجو أن تكون موجودة في العنوان الذي راسلته منه في ميدان "بلجريف" .. ووافقه "ساترزويت" على الفكرة لأنه كان تواقا لرؤية "ايج" كانت "إيج" لا تزال باقية في "لندن" وتقيم هي وأمها مع بعض الأقارب .وكان من المقرر عدم عودتهما إلى "لوماوث" قبل أسبوع .وتم الاتفاق مع الفتاة على تناول العشاء معهما في "بركلي" .. لاحظ "ساترزويت" عند وصول الفتاة أنها أكثر نحافة وأن عينيها أكثر اتساعا إلا أن سحرها لم يبهت ، وقالت لسير "تشارلز":

– كنت أعرف أنك سوف تحضر .سكتت قليلا ثم أردفت تقول :

– الآن بعد وصولك سوف يكون كل شيء على ما يرام ، همس "ساترزويت"

لنفسه:

لم تكن واثقة من عودته وكانت شديدة القلق .. ألا يدرك الرجل ذلك ؟ ألا يدرك أنها غارقة لأذنيها في حبه ؟ كان "ساترزويت" متأكدا من حبه لها وأن الخيط الوحيد الذي يجمع بينهما جريمة – جريمة مزدوجة .. تحدث سير "تشارلز" أثناء العشاء عن رحلته إلى الخارج وتحدثت "ايج" عن "لوماوث" ،وتوجهوا بعد العشاء إلى بيت "ساترزويت" وبمجرد جلوسها طلبت من سير "تشارلز" أن يخبرها بكل ما لديه وأنصتت إليه باهتمام وهو يروي مغامراته في "يوركشاير" وخطابات التهديد التي اكتشفها ،واختتم سير "تشارلز" قصته بقوله :

–من المرجح أن "إبليس" تقاضى ثمن سكوته وأن القاتل سهل له مهمة الهرب .. هزت "ايج" رأسها علامة النفي وهي تقول : كلا .. من رأيي أن "إبليس" مات .

– نظر إليها الرجلان بارتياع .كان الرجل يعرف الكثير ولعله قتل .لم يفكر أحدهما في هذا الاحتمال من قبل ، وقال سير "تشارلز" أخيرا:

– إذا كان قد قتل فأين الجثة ؟ وقالت "ايج" :

–لا أدري .. لابد أن هناك أماكن عديدة لإخفائها .. ربما كانت في حقيبة موضوعة بغرفة السطح ..

اذا كان الامر كذلك فربما احتاج اكتشافها لبعض الوقت .

– تتصاعد الرائحة إلى أعلى لا إلى أسفل ..ولو أنها كانت موضوعة في البدروم لتم العثور على الجثة بسرعة ..

– لو كانت نظريتك صحيحة فمعنى هذا أن القاتل رجل لأن السيدة لاتستطيع جر الجثة إلى السطح ..

– هنا احتمالات أخرى ربما أرشده القاتل إلى الممر السري وصحبه إلى هناك وقتله .. تستطيع سيدة أن تطعنه من الخلف وتترك الجثة في الممر وتعود ولن يدري أحد بما حدث .

هز "تشارلز" رأسه بارتياب ، وهمس "ساترزويت" لنفسه :

لو أن "إبليس" مات حقا فنحن نتعامل مع شخص بالغ الخطورة .. ارتجف "ساترزويت" أمام ذلك الخاطر .. إن الشخص الذي ارتكب ثلاث جرائم لن يتورع عن المزيد من القتل .. وأدرك الخطر المحدق بثلاثتهم : هو وسير "تشارلز" و"ايج" .. أفاق "ساترزويت" من خواطره على صوت سير "تشارلز" يقول :

– هناك أمر في خطابك لم أفهمه يا "ايج" .. تحدثت عن الخطر الذي يتهدد "أوليفر ماندرز" رغم أن الشرطة لا ترتاب فيه ولا أرى أدنى شك يحيط به . احمر وجه "ايج" وقالت:

– كان ذلك غباء مني .. كنت أتخيل أن رجال الشرطة يرتابون فيه . قال سير "تشارلز" باكتئاب :

– حسن .. إذا كان صديقنا الشاب لا يواجه أي خطر فما موقفي؟

مالت "ايج" نحوه وأمسكت بكم سترته قائلة :

– لن تهرب مرة أخرى .. سوف تستمر إلى أن تكتشف الحقيقة .. لا أستطيع أن أصدق أن أحدا غيرك يستطيع أن يتوصل إلى الحقيقة .. أنت تستطيع وسوف تفعل . قال سير "تشارلز":

–هل تؤمنين بي؟

– نعم .. نعم .نعم .نعم .. سوف نتوصل إلى الحقيقة معا .. أنا وأنت .

–وماذا بشأن "ساترزويت" ؟

– ومستر"ساترزويت" بالطبع ..

– ابتسم "ساترزويت" وهو يحدث نفسه قائلا:

– سواء كانت تريد اشتراكي أم لم ترد فليس في نيتي الانسحاب . وقال سير "تشارلز" :

– أولا يجب أن نتفق على رأي .. هل الذي قتل "بابنجتون" و"بارثلوميو سترينج" هو نفس الشخص ؟ قالت "ايج" على الفور :

– نعم .. وأمن "ساترزويت" على رأيها ، وعاد سير "تشارلز" يقول :

– هل نعتقد أن "بارثلوميو" لقي مصرعه لمنعه من كشف سر الجريمة

الأولى أو لارتيابه فيها ؟

اتفق رأي "ايج" و"ساترزويت" على الإجابة بـ"نعم" ، وأردف سير "تشارلز" يقول :

– إذن يجب أن نبحث في الجريمة الأولى لا الثانية ، وحتى نعرف الدافع لارتكاب هذه الجريمة فلا أمل لنا في اكتشاف القاتل .. فلنسأل أنفسنا : ما الأسباب التي تدفع الناس للقتل ؟

– أولاعلى ما أعتقد .. المكسب .. وأضافت "ايج" :

– والانتقام .

وقال "ساترزويت" :

– وجنون القتل .. وأيضا الخوف . هز سير "تشارلز" رأسه وقال :

–نعم ..الكسب أولا .. من الذي يكسب من وراء موت "بابنجتون" ؟ هل يملك مالا أو ينتظر أن يحصل على ثروة؟ قالت "ايج" :

–إن ذلك غير محتمل ، وقال سير "تشارلز":

– هذا رأيي أيضا ، ولكن من الأفضل أن نتصل بمسز "بابنجتون" للتحقق من هذه النقطة .. وبالنسبة للانتقام .. هل أساء "بابنجتون" في شبابه إلى شخص ما ؟ هل تزوج الفتاة التي كان يحبها إنسان آخر ؟ سوف نبحث هذه النقطة أيضا .. أما بالنسبة لمجرم مصاب بجنون القتل فهو من وجهة نظري أمر مستبعد .. ويبقى لدينا الدافع الأخير وهو الخوف .. ومن رأيي أنه الأرجح ..كان "بابنجتون" يعرف شيئا عن شخص أو لعله تعرف على شخص ولقي مصرعه حتى لا يحدث أحدا عما يعرفه . قالت "ايج" :

– لا أظن أن "بابنجتون" كان يعرف شيئا مدمرا بالنسبة لواحد ممن كانوا موجودين في تلك الليلة . قال سير "تشارلز" مدافعا عن وجهة نظره :

– ربما كان شيئا لا يدرك أنه يعرفه .. من الصعب أن أشرح ما أقصده .. مثل رؤيته لشخص ارتكب جريمة واستطاع أن يثبت وجوده في مكان آخر ولكن "بابنجتون" رآه في وقت ومكان الجريمة ..أو رأى شخصا كان يعرفه باسم آخر .. أو لعله أمر يتصل بالميلاد أو الوفاة قالت "ايج" :

– هذا يجعل مجال البحث متسعا وعلينا أن نبدأ باستعراض الأشخاص الذين كانوا موجودين ليلة وفاته .. من كان موجودا في بيتك ومن كان موجودا في بيت الطبيب ؟

– أخذت من سير "تشارلز" ورقة وقلما وقالت: – مستر ومسز " داكريس" كانا في الحفلين .. وتلك السيدة التي تدعى .. "ويلز" .. ومس أنجيلا ساتكليف " قال سير "تشارلز" معترضا :

– استبعدي "أنجيلا" .. لقد عرفتها منذ زمن طويل . أصرت "ايج" على عدم استبعاد أي شخص لأن الاتهام يمكن أن يحيط بالجميع ، وقال سير "تشارلز" :

– في هذه الحالة لن نستبعد " أوليفر ماندرز" أيضا . فقد كان موجودا في المكانين . ترددت "ايج" هنيهة ثم قالت باستسلام :

– حسن .. هكذا ينبغي أن أكتب اسمي واسم أمي .. وهذا يجعل عدد المشتبه في أمرهم سبعة .طلب "ساترزويت" بعض كئوس الشراب ليخفف من حدة التوترالذي ساد الجلسة ،وانتهزت "ايج" فرصة انشغال سير "تشارلز" بمشاهدة أحد التماثيل واقتربت من "ساترزويت " قائلة له في همس :

– كان غباء مني أن أفقد أعصابي .. ولكن لماذا نستبعد السيدة ؟ لماذا كان حريصا على استبعادها ؟ يا إلهي .. لماذا أنا غيور إلى هذا الحد ؟ ابتسم "ساترزويت " وقال لها بهدوء :

– الغيرة لا تفيد يا عزيزتي .. حاولي إخفاء غيرتك .. وبهذه المناسبة هل خطر ببالك أن الشكوك قد تحيط بـ" ماندرز"؟

– كلا بالطبع .. كل ما في الأمر أنني أريد ألا يشعر بأنني أطارده ولكنني لا أريد في نفس الوقت أن يحس بأنني أميل لـ "أوليفر" لأنني لاأميل إليه بالفعل .. وقد عاد الآن إلى سلوك الأطفال وأنا لا أحب ذلك بالمرة .

أنصحك بالصبر وسوف تنتهي الأمور كما تحبين

– ولكنني لست صبوراً .. أريد أن أتعجل وقوع الأحداث . ضحك

ساترزويت " والتفت سير "تشارلز" نحوه ، وعندما استؤنف الحديث قال سير "تشارلز" إنه يرى العودة إلى "عش الغراب" مادام لم يعثر على مشتر للبيت ، على أن تعود "ايج" مع أمها إلى بيتهما في وقت أسرع مما كانتا تقدران ، وحيث إن مسز "بابنجتون" كانت لا تزال تقيم في"لو ماوث فانهم يستطيعون مقابلتها للتصرف على ضوء ما يحصلون عليه من معلومات ، وقالت "ايج" :

– سوف ننجح .. أنا أعرف أننا سوف ننجح .

مالت بجسمها نحو سير "تشارلز" وفي عينيها بريق أخاذ ، ولمست كأسه بكأسها قائلة :

– نخب نجاحنا . رفع سير" تشارلز" كأسه نحو فمه ببطء ثم قال :

– نخب النجاح .. ونخب المستقبل .

الفصل الثالث

الاكتشاف

- ١ -

أقامت مسز "بابنجتون" في كوخ صغير يطل على الشاطئ بعد موت زوجها في انتظار وصول شقيقتها من الخارج حتى تتدبر معها شئون المستقبل ، لان واحدا من أولادها الذين يعملون في الخارج لم يكن على استعداد للعودة والحياة معها وفوجئت "مسز "بابنجتون" وهي تعمل في حديقتها الصغيرة بقدوم سير "تشارلز" "وايج ليتون جور" ، ودعتهما إلى غرفة الاستقبال الصغيرة ، وسألت سير "تشارلز" عن أسباب عودته بعد أن عرف الجميع أنه غادر المكان إلى غير رجعة ، وقال سير "تشارلز" بشرود:

- لم أعثر على مشتر للبيت .. لا يستطيع الإنسان أن يهرب من قدره .. سألها سير "تشارلز" عما إذا كانت أخبار استخراج جثة زوجها من القبر لتحليلها قد بلغتها ، وأخبرته أنها سمعت الخبر ولم تنزعج ، لأن روح زوجها ترقد في مكان آخر في سلام ، وأبدت دهشتها للشكوك التي بدأت تثار حول موت زوجها بواسطة سم النيكوتين وقالت إن كل ما تعرفه عن النيكوتين أنه يسبب بعض المضايقات لمدمني التدخين ، وسألها سير "تشارلز" :

- ألم يتصادف استخدامك لمحلول النيكوتين ؟

- كنت أستخدمه في رش النباتات في الحديقة للقضاء على الآفات ..

سألها سير "تشارلز" عما إذا كانت تعرف أعداء لزوجها وأبدت دهشتها لذلك قائلة :

- من ذا الذي يفكر في إيذاء "ستيفن" ؟ أخبرها سير "تشارلز" أنه كان في الخارج وسمع عن موت صديقه " بارثلوميو سترينج " في ظروف مشابهة لموت زوجها ، وقالت "ايج" :

- لقد كنت هناك ورأيت نفس الأعراض تظهر على وجه الطبيب بعد أن

شرب كأسا من الشراب ولم يلبث أن مات بعد ثلاث دقائق .. قال سير "تشارلز" :

– سوف يشيع خبر استخراج الجثة من القبر ، لهذا نريد أن نقف على مايمكن من الحقائق قبل أن يفقد القاتل أعصابه .. عندما تقدم "ستيفن" لخطبتك هل أساء ذلك إلى شخص كان يفكر في الزواج منك ؟ قالت مسز "بابنجتون" ببساطة :

– إن "ستيفن " كان يعمل في شبابه مساعدا لأبيها ، وكان أول شاب يدخل حياتها ، وتمت الخطوبة والزواج في هدوء وعاشا في سعادة وهناء تدخلت "إيج" في الحديث وسألت مسز "بابنجتون" عما إذا كان زوجها قد رأى واحداً من المدعوين إلى الحفل في وقت سابق ، وقالت :

– أنت وأمك " وأوليفر ماندرز" .. أما بالنسبة للآخرين فلم نر أو نقابل أحدهم من قبل .

قال سير "تشالز" :

يجب أن تغفري لنا هذا الوابل من الأسئلة ، ولكن إذا كان زوجك قد قتل فلابد لذلك من سبب .. هل تستطيعين أن تعرضي علينا تاريخ حياة زوجك بشيء من التفصيل ؟

كانت لمسز "بابنجتون ذاكرة حادة قالت :

– ولد ستيفن بابنحتون" عام ١٨٦٨ في "ديفون" .. تلقى تعليمه في مدرسة "سانت بول " وأكسفورد " .. نصب قسا عام ١٨٩١ في " هوكستون " .. وكان راعيا لأبرشية "السنجتون " عام ١٨٩٤ .. تزوج "مارجريت لويمر عام ١٨٩٩ وعاشا في "جيلنج" ثم نقل إلى كنيسة "سانت بتروك " في "لوماوث " عام ١٩١٦ .. قال سير"تشارلز" باهتمام :

– ربما كان ذلك يساعدنا بعض الشيء .. أعتقد أن الفترة التي تثير انتباهنا عندما كان في " جيلنج " ..

سألت مسز "بابنجتون " :

– هل تعتقد أن واحدا من الموجودين بالحفل هو..؟

" قال سير "تشارلز" :

– لا أدري بالضبط ... ربما شاهد " بارثلوميو " أو استنتج شيئاً خاصا بأحد الموجودين الخمسة .

قاطعته " ايج " قائلة :

– إنهم سبعة .

– لا بد أن القاتل واحد من هؤلاء السبعة

قالت مسز "بابنجتون "بمرارة :

– ولكن لماذا ؟ ما الدافع ؟ قال سير " تشارلز" بحزم : هذا ما سوف نكشفه .. انتهز ساترزويت " فرصة ذهاب سير "تشارلز " مع " ايج لزيارة "بابنجتون " وذهب ليتناول الشاى مع "ليدى ماري " وتطرق الحديث إلى "ايج" وقالت ليدي " ماري " :

– ابنتي عنيدة وتركب رأسها عندما تصر على شيء .. لا تعجبني الطريقة التي تجعلها تدس أنفها في هذه المشكلة ..

– أنا أفهم وجهة نظرك .. ولكن ليس المفروض في فتيات اليوم أن يبقين في البيت للتطريز والحياكة ولا ينفعلن إزاء الجرائم التي تحدث في هذه الأيام ..

– أنا لا أحب الجريمة ولم أتصور قط أن أتعرض لشيء كالذي حدث ..كان أمرا فظيعا .. مسكين سير "بارثلوميو" . سألها "ساترزويت " بحذر :

– ألم تكوني تعرفينه معرفه جيدة ؟

– أعتقد أنني لم أره سوى مرتين .. الأولى منذ عام عندما جاء ليقضي عطلة نهاية الأسبوع مع سير "تشارلز" والثانية في تلك الليلة الفظيعة التي مات فيها المستر "بابنجتون " المنكود الحظ .. أصبت بالدهشة عندما تلقيت تلك الدعوة ووافقت اعتقادا مني بأن ذلك يسعد " ايج " لأنها كانت في حالة نفسية سيئة .. سألها "ساترزويت "عن رأيها في " أوليفر ماندرز " وقالت :

– أعتقد أنه شاب ذكي .. كانت ظروف حياته صعبة .. احمر وجهها وقالت :لم يكن أبوه متزوجا من أمه ..وكانت مسز " ماندرز " جدته

العجوز تعيش في " دانبوين " في بيت كبير بشارع "بليموث" كان زوجها يعمل محاميا هناك ، ويعمل ابنها في إحدى المؤسسات بالمدينة وحقق ثروة كانت الابنة جميلة ووقعت في غرام رجل متزوج ،إنني أوجه اليه اللوم الشديد .. ارتبطا بعد سلسة من الفضائح ولم تقبل زوجته الطلاق منه .

وماتت الفتاة بعد ولادة "أوليفر" بوقت قصير وتولى عمه في " لندن " أمره ولم يكن لعمه وزوجته أولاد ، وقسم الولد وقته بينهما وبين جده ، وكان يأتي هنا دائما أثناء عطلات آخر العام .. سكتت هنيهة ثم أردفت تقول:

كنت أشعر نحوه بالأسى وما زال هذا شعوري .. أعتقد أنه مغرور أكثر مما ينبغي . قال " ساترزويت " :

- هذه ظاهرة مألوفة .. كلما بالغ إنسان في الاعتزاز بنفسه كان وراء ذلك مركب نقص معين .. ويقف مركب النقص هذا وراء العديد من الجرائم بدافع من الرغبة لتأكيد شخصية الإنسان .

تكلم كل واحد منهما بعد ذلك عن حياته الخاصة ، وروت ليدي " ماري" قصة زواجها وكيف عاشت حياة تعيسة مع زوجها فقد أحبته وكان سيىء السمعة وقد رفض أبوها الموافقة على زواجها منه ولكنها تخيلت أنها تستطيع إصلاحه ، وقالت ليدي " ماري " :

- كان " رونالد " رجلا فاتنا وأثبتت الأيام أن أبي كان على حق .. فقد حطم " رونالد " قلبي .. ولا أخفي عليك يا مستر " ساترزويت " أنني شعرت بالارتياح عندما أصيب بالتهاب رئوي تسبب في موته .. وليس معنى هذا أنني لم أكن أهتم به .. كنت أحبه حتى النهاية ولكنني لم أعد أعقد الأمل على إصلاحه .. وكانت هناك ابنتي " ايج" .. دار الحديث بعد ذلك حول- "ايج" وقالت" ليدي ماري" :

-" ايج" شديدة الاندفاع وإذا استقر عزمها على رأي اندفعت دون تقدير للعواقب .. وهي تأبى أن تستمع إلي .

ابتسم " ساترزويت " وهو يهمس لنفسه : ترى هل تدري " ليدي "ماري" أن اندفاع ابنتها لحل لغز الجريمة إنما هو استمرار للعبة قديمة ..

مطاردة الأنثى للذكر؟

وأردفت ليدي " ماري" تقول :

- تقول " ايج" إن مستر " بابنجتون " مات مسموما أيضا .. هل تعتقد أن هذا صحيح يا مستر " ساترزويت " ؟

- سوف نتحقق من ذلك بعد استخراج الجثة من القبر . وسألها عما إذا كانت تعرف مستر ومسز " بابنجتون " جيدا ، وأخبرته أن العلاقة بين "بابنجتون " وزوجته كانت ممتازة ولم تواجههما أي متاعب سوى معاناة القس من تصلب الشرايين ، وترددت عندما سألها عن علاقة "أوليفر ماندرز " بالقس ، ثم قالت أخيرا :

- كانت العلاقة بينهما فاترة .. كان "أوليفر" يلعب في صغره مع أولاد القس ، وكان يفاخر بالأموال التي يحصل عليها والحياة الرغدة التي يعيشها ..

- وماذا كان شأنه بعد أن كبر ؟

- لم يكن يلتقي مع أسرة القس كثيرا .. ولكن " أوليفر" ارتكب حماقة مع المستر " بابنجتون " ذات يوم في منزلي .. وكان ذلك منذ عامين ..

روت ليدي "ماري " كيف هاجم " أوليفر " القس وقال له : لعلك تعتبرني ابنا للخطيئة .. ثم وجه إليه وإلى الكنيسة السباب وقال: إنه يتمنى لو أنه استطاع أن يحطم جميع الكنائس في العالم ، وقال مستر بابنجتون " : ورجال الدين أيضا؟ وقال " أوليفر" باندفاع :

- ورجال الدين ..

- وماذا كان رد مستر " بابنجتون " ؟

- ابتسم وقال بهدوء : لو أنك خططت لهدم كل الكنائس فإنك تبقى مطالبا بالتعامل مع الله .. وجم "أوليفر" قليلا ثم هدأت أعصابه وعاد إلى حالته الطبيعية .

- هل تحبين هذا الشاب ؟

- إنني أشعر نحوه بالأسى .

ـ ولكنك لا ترغبين في زواجه من "ايج" ؟

-أو ..كلا .

عندما سألها عن السبب قالت : لأنه ليس رقيقا .. ولأنه ... عندما سكتت استحثها "ساترزويت " على الكلام وقالت :

– لأن فيه شيئا داخليا لا أفهمه .. شيء بارد ..

– ماذا كان رأي سير "بارثولميو" فيه ؟

– أذكر أنه قال عنه إنه حالة جديرة بالدراسة ، وعندما قلت له إن الشاب يتمتع بصحة جيدة قال: نعم .. ولكنه يندفع نحو سقطة كبيرة ..كان طبيبا ممتازا يقدره الجميع .

– ألم يقل لك شيئا عن موت "بابنجتون" ؟

– كلا ..

– هل تعتقدين أن الطبيب كان يفكر في شيء معين ؟

– كان يبدو ليلة وفاته مرحا أكثر من العادة ، وأخبرني أثناء العشاء أنه يعد لنا مفاجأة ضخمة .

-أوه ..هل فعل ذلك حقا ؟

ظل "ساترزويت"يفكر في ذلك أثناء عودته إلى المنزل وهو يسأل نفسه: ترى ما المفاجأة التي كان الطبيب يعدها لضيوفه ؟

انضم "ساترزويت" إلى المجلس الذي انعقد في الغرفة المشكلة على شكل كابينة السفينة في بيت سير "تشارلز" ، وعندما سأل الممثل ضيفيه عما إذا كانا قد أحرزا تقدما ، قال ساترزويت "لا" بينما قالت "ايج" " نعم" ، قال سير " تشارلز" :

– إن من حق السيدة أن تبدأ الحديث ، وقالت "ايج" :

– رغم أننا لم نتوصل إلى شيء مؤكد إلا أننا قمنا بتنمية بعض الأفكار وهذا يعتبر من وجهة نظري تقدما . قال سير "تشارلز" :

– تقدم عن طريق الاستبعاد ؟ حسن ... وأنت يا "ساترزويت "؟قال " ساترزويت " :

– استبعدنا فكرة المكسب .. لا أحد يستفيد من موت "ستيفن بابنجتون".. كما أن فكرة الانتقام مستبعدة .. هكذا نعود إلى فكرة الخوف .. يحقق شخص ما الأمان لنفسه بالتخلص من "ستيفن بابنجتون" .

قالت "ايج" :

– المسألة هي ما خطوتنا التالية ؟ هل نتنكر ونقتفي آثار المشتبه فيهم ؟

قال سير "تشارلز" باستياء :

– يا طفلتي العزيزة ..كنت أعترض دائما على دور الرجل ذي اللحية ولن أفعل ذلك الآن . سألته عما ينوي أن يفعله . لأن باب الحجرة فتح وأعلنت الخادمة وصول مسيو "هيركيول بوارو" .. دخل " بوارو" بوجه باسم يتصفح الوجوه التي علتها الدهشة وقال بمرح :

– هل مسموح بانضمامي إلى المجلس ؟ أجابه سير " تشارلز" بقوله :

– إننا سعداء لرؤيتك .. من أين أتيت فجأة ؟

– ذهبت لمقابلة صديقي مستر "ساترزويت " في لندن وقيل لي إنه هنا فأتيت بأول قطار يصل إلى "لوماوث" قالت "ايج" :

– ولماذا أتيت ؟

احمر وجهها واستدركت قائلة : أعني هل أتيت لغرض معين ؟

قال "بوارو" بهدوء:

-لقد جئت لأعترف بخطأ ما .. التفت نحو سير " تشارلز" وقال :

– سبق أن قلت ياسيد ي في نفس هذه الحجرة إنك غير مقتنع ، وعارضتك لأنني لا أعرف حتى هذه اللحظة كيف تم دس السم لـ "بابنجتون" ولا يوجد مبرر مقنع لقتله ، ولكن جريمة ثانية وقعت وفي ظروف مشابهة .. لهذا جئت أنا "هيركيول بوارو" لأعترف بخطئي .. وأنني ظننتك كممثل تحب ان تتحول الأمور إلى مأساة .. لقد جئت لأعتذر وأقر بخطئي راجيا موافقتك على انضمامي إلى مجالسكم .. تنحنح سير "تشارلز" بعصبية وبدا عليه الارتباك ثم قال :

– هذا لطف منك يا مسيو "بوارو" ..لا أعرف ..أعني أن وقتك – قال

"ساترزويت" :

– كانت لفتة طيبة منك . قال "بوارو" بهدوء :

– كلا .. إنه الفضول والإحساس بجرح الكرامة ويجب أن أصلح خطئي .. ولكن إذا كنتم لا ترحبون بقدومي – قاطعه الرجلان في نفس واحد :

– كلا .. كلا بالمرة .. التفت "بوارو" نحو الفتاة قائلا :

– والمدموازيل ؟ ظلت "ايج" صامتة هنيهة وأدرك "ساترزويت" السبب . لقد قبلت انضمامه على مضض لكن الأمر بالنسبة لمسيو "بوارو" يختلف وتساءل بينه وبين نفسه . ترى ماذا سيكون رد الفتاة ؟ ولكن "ايج" ليتون جور "قالت الشيء الوحيد الذي تستطيع أن تقوله وعلى فمها شبح ابتسامة باهتة :

– بالطبع تستطيع أن تنضم إلينا .. يسعدنا أن تفعل ذلك ..

* * *

–٢–

طلب "بوارو" بعد الموافقة على ضمه للمجلس إحاطته علما بتفاصيل الموقف . وقام "ساترزويت" بهذه المهمة ، وقال "بوارو" معلقا على عثور سير "تشارلز" على الخطابات وراء المدفأة :

– عمل عظيم .. الاستنتاج وبناء الخطة .. كان ينبغي أن تكون مخبرا خاصا قديرا بدلا من عملك كممثل عظيم .. كذلك أثنى "بوارو" على "ساترزويت" قائلا :

– كانت ملاحظتك بشأن دعابة سير "بارثلوميو" مع الخادم ذكية . سأل سير "تشارلز" باهتمام :

–هل ترى شيئا في فكرة مسز "راشبريدجر" ؟

– إنها فكرة وقد توحي بأشياء عديدة .

تحدث بعد ذلك سير "تشارلز" عن الزيارة التي قام بها مع "ايج" لمسز "بابنجتون" ونتائجها السلبية ثم قال لـ "بوارو":

– أنت على علم الآن بكل الحقائق .. ما رأيك ؟

سكت "بوارو" هنيهة ثم سأل "ايج" عما إذا كانت تذكر شكل الكأس التي شرب منها الطبيب الشراب . وتطوع سير "تشارلز" بعرض كأس مماثل من مجموعته قائلا :

– إن سير "بارثلوميو" أهداه له لأنه اشترى مجموعة كبيرة من أحد المزادات تفيض عن حاجته . وقلب "بوارو" الكأس بين يديه ثم قال :

– هذا ما تخيلته تماما .. وعندما سألته "ايج" عن السبب قال :

– يمكن تفسير وفاة سير "بارثلوميو" بسهولة ، ولكن موت "بابنجتون" أكثر صعوبة ، كم تمنيت لو أن الأحداث وقعت بترتيب عكسي .. الطبيب مشهور وهو بحكم مهنته يقف على الكثير من أسرار مرضاه .. فلنتصور أن أحد مرضاه على حافة الجنون وكلمة واحدة من فم الطبيب كفيلة بإبعاده عن العالم .. تصوروا الإغراء الذي يواجه مريضا كهذا .. وربما كان الطبيب يرتاب في وفاة مفاجئة لواحد من مرضاه .. هكذا ترون دوافع كثيرة لموت الطبيب ، ولو أن الطبيب مات أولا ثم جاء بعده "ستيفن بابنجتون" ، كنا نقول إن "بابنجتون" رأى شيئا أو ارتاب في أمر الوفاة . ولكن علينا أن نقبل الأمور كما هي ونتصرف على هذا الاساس .. أعتقد أن موت "بابنجتون" لم يكن قضاء وقدرا .. أعني أن السم الذي كان يقصد به قتل الطبيب ذهب على سبيل الخطأ إلى "بابنجتون" .. أي أن "بابنجتون" قتل على سبيل الخطأ .. قال سير "تشارلز" :

– تفكير ذكي .. ولكنني لا أوافق عليه .. لأن "بابنجتون" جاء إلى هذه الحجرة قبل مرضه بحوالى أربع دقائق ، وكل ما دخل فمه لا يزيد عن نصف كأس من الشراب قاطعه "بوارو" قائلا :

– فلنفترض على سبيل الجدل أن شيئا وضع في الشراب .. هل كان الطبيب هو المقصود ؟ هز سير "تشارلز" رأسه قائلا :

–إن "بارثلوميو" لم يكن يشرب ذلك النوع من الشراب قط، أعرب

"بوارو" عن استيائه لان ذلك يهدم فكرته من أساسها ،وقال سير "تشارلز" :

– فضلا عن أن الصينية كانت تقدم للمدعوين ليختار كل منهم كأسا .. سكت "بوارو" هنيهة مفكرا وسأل سير "تشارلز" عما إذا كانت الخادمة التي فتحت له الباب هي التي كانت تحمل صينية الشراب ،وعندما تلقى الرد بالإيجاب طلب مقابلتها ليجري تجربة على الطريقة التي قدمت بها الكئوس ،وأجريت التجربة وتأكد "لـ بوارو" استحالة تقديم كأس معين لشخص معين خاصة وأن "ساترزويت" كان أقرب الواقفين من "بابنجتون" ... سكت " بوارو " مستسلما لأفكاره وقتا طويلا وعندما رفع عينيه بدا عابس الوجه وهو يقول :

– لم تكن مسز "بابنجتون " موجودة في بيت الطبيب وهذا يبعد عنها الاتهام .

– من الذي فكر في اتهام مسز" بابنجتون" ؟

ابتسم "بوارو"

وقال :

– أحقا ؟ لقد خطرت الفكرة ببالي .. إذا لم يكن "بابنجتون" مات بفعل السم المدسوس في الشراب فلابد أن ذلك تم قبل دقائق من وصوله إلى البيت وفي هذه الحالة لا يفعل ذلك سوى الزوجة ..

صاحت "ايج" قائلة بأنفة :

– لقد كانا زوجين مخلصين .. نظر إليها " بوارو " باسما وقال بهدوء :

– أنت تنظرين إلى الأمور بعواطفك وأنا أنظر إليها دون تحيز .. لا أتعامل إلا مع الحقائق ..ودعيني أيتها الشابة أخبرك من واقع تجاربي الكثيرة أنني رأيت خمس حالات لزوجات مخلصات لأزواجهن ارتكبن جريمة قتل الزوج .. السيدات يستطعن أكثر من غيرهن الاحتفاظ بالمظاهر الخداعة .. قالت "ايج" بخشونة :

– أعتقد أنك فظيع .. أعرف أن مسز "بابنجتون " ليست من ذلك

الطراز .. هذا فظيع !

– القتل أشد فظاعة يا مدموازيل .. ومع هذا ولأنني أتعامل مع الحقائق أوافق على أن مسز "بابنجتون" لم ترتكب هذه الجريمة لأنها لم تكن في بيت الطبيب ،وكما ذكر سير "تشارلز" من قبل يجب أن نوجه الاتهام إلى شخص كان موجودا في كلتا المناسبتين .واحد من السبعة الذين تتضمنهم القائمة ..خيم الصمت بعض الوقت قبل أن يسأل "ساترزويت" عن التحرك التالي .

وقال سير " تشارلز" :

– من رأيي استخدام طريقة الاستبعاد .. نعتبر كل واحد من المسجلين في القائمة مدانا حتى تثبت براءته ،وأن نقتنع بوجود ارتباط بين ذلك الشخص وبين "بابنجتون"وأن نبذل قصارى جهدنا لاكتشاف هذا الارتباط ، إذا لم نجد هذا الارتباط نترك الشخص إلى آخر .. هز " بوارو " رأسه قائلا :

– طريقة سيكولوجية سليمة .. وما أسلوبك في العمل؟

– لم نتناقش بعد في هذه النقطة ونرحب بالاستماع إلى رأيك ..

– لا تطلب مني يا صديقي خطوة تتطلب الحركة ..أنا أحل قضاياي بالتفكير .. دعوني أعمل بوسيلتي بينما تواصلون البحوث التي يجريها سير "تشارلز" باقتدار . تطلعت "ايج" إلى ساعتها وقالت إنه لابد من عودتها إلى المنزل حتى لا تقلق أمها ،وعرض عليها سير "تشارلز" أن يصحبها بسيارته وخرجا سويا .. نظر" بوارو" إلى الباب وهو يغلق وراءهما ثم قال بشرود :

– هذه الجريمة شديدة الغموض ..إنها تحيرني تماما .

– أية جريمة – الأولى أم الثانية ؟

– لا توجد سوى جريمة واحدة – الأولى أو الثانية ما هي إلا نصف نفس الجريمة .. النصف الثاني سهل .. الدافع والأسلوب الذي اتخذ .

– لم يعثر على أي أثر للسم في أي كأس للنبيذ وأكل الجميع من

نفس الطعام .

– كلا .. الأمر مختلف تماما ، في الحالة الأولى لايبدو كما لو أن أي إنسان كان يستطيع قتل "بابنجتون" بالسم ، لو أراد سير "تشارلز" ذلك لاستطاع أن يقتل أحد ضيوفه ولكن ليس شخصا بعينه .. كانت الخادمة "تمبل" تستطيع أن تدس السم في الكأس الأخيرة المتبقية على الصينية ولكن "بابنجتون" لم يأخذ الكأس الأخيرة .. كلا .. قتل "بابنجتون" يبدو مستحيلا لدرجة أنني ما زلت أشعر أنه ربما مات ميتة طبيعية ولكننا سوف نتحقق من ذلك عاجلا .. أما الجريمة الثانية فأمرها مختلف .. كان أي شخص من الضيوف الحاضرين أو الخادم أو الخادمة يمكنه أن يدس السم للطبيب .. لا يمثل ذلك أدنى صعوبة .

– إنني لا أفهم .. قاطعه "بوارو" قائلا :

– سوف أثبت لك ذلك بتجربة بسيطة في القريب .. دعنا نستعرض الجانب الأهم من القضية .. أنت رقيق المشاعر وربما كنت لا تميل إلى أن ألعب دور المفسد للأمور . قال "ساترزويت" بابتسام:

– تعني ..

– إن سير "تشارلز" يجب أن يلعب دور البطولة .. هذا ما تعود عليه كما أن شخصا ! آخر يريد له أن يلعب هذا الدور .. هل أنا على حق ؟ لن يسعد المدموازيل أن أصل إلى الحل بنفسي .. وأنا ذو طبيعة حساسة وأرغب في مساعدة حب لا أن أعوقه .. لهذا يجب أن نعمل معا أنا وأنت من أجل مجد سير "تشارلز" .. أليس كذلك ؟ وإذا تم حل اللغز –

– إذا ؟

– عندها .. أنا لن أسمح لنفسي بالفشل . عندما يتم حل القضية أريد أن ينسب كل الفضل لسير "تشارلز" .. لأنني لست في حاجة إلى مزيد من الشهرة ..

– يدفعني الفضول إلى أن أسألك :

– ما الذي يعود عليك من هذه القضية ؟ أهو مجرد الاستمتاع بالمطاردة؟

هز "بوارو" رأسه قائلا :

–كلا .. ليس الأمر كذلك .. وإنما السعي وراء الحقيقة .. ليس في الوجود ما هو أجمل من الحقيقة ؟ .

خيم الصمت بعض الوقت ، ثم أخرج "بوارو" الورقة التي سجل فيها "ساترزويت" الأسماء السبعة وقرأ بصوت مرتفع :

– مسز "داكريس" "كابتن" داكريس" ، مس "ويلز" ، مس "ساتكليف" ، ليدي "ماري ليتون جور" ، مس "ليتون جور" ، "أو ليفر ماندرز" سأل "بوارو" بعد ذلك عما إذا كانت الأسماء كتبت وفقا لترتيب معين وأجاب "ساترزويت" بالنفي ، وعقب "بوارو" على ذلك بأن العقل الباطن يريد أن تلقى التهمة بـمسز "داكريس" ثم سأل "ساترزويت" لماذا لم يذهب مع سير "تشارلز" و"ايج" لزيارة "مسز" "بابنجتون" ، أجاب "ساترزويت قائلا لأنه لم يشأ أن يثقل على السيدة ، وقال "بوارو" :

– بل لأنك كنت تقصد هدفا آخر ..

روى "ساترزويت ؛ تفاصيل زيارته لـ .. الليدي "ماري" وكيف أنها حدثته عن حياتها الخاصة وسأل "بوارو":

– ألم تتحدثا في موضوع آخر . أعني عن "أو ليفر ماندرز" ؟ اعترف "ساترزويت" بذلك وأعاد على مسامعه رأي ليدي "ماري" في الشاب وقال "بوارو" بخبث :

– ذهبت وأنت تأمل أن تكون مسز "داكريس" أو زوجها القاتل ، ولكنك تعتقد في قرارة نفسك أن القاتل هو "ماندرز" . حاول "ساترزويت" الاعتراض ولكن "بوارو" استمر في حديثه قائلا :

– نعم .. نعم .. أنت ذو طبيعة متكتمة ، لك آراؤك ولكنك تفضل أن تحتفظ بها لنفسك .. أنا أتعاطف معك لأنني أفعل نفس الشيء ..

–أنا لا أشك فيه ولكنني فقط أردت أن أعرف المزيد عنه ،

–أنا أيضا مهتم بهذا الشاب .. كنت مهتما به أثناء العشاء في تلك الليلة لأنني رأيت – رأيت اثنين على الأقل يمثل كل منهما

دورا ..أحدهما سير "تشارلز" الذي يمثل دور الضابط البحري .. وهذا شيء طبيعي لممثل كبير لم يعد يعتلي خشبة المسرح ولكن الشاب كان يمثل دور الإنسان المنغمس في الملذات الذي يشعر بالملل .. لهذا تنبهت إليه وراقبته .. أنت أيضا .. كان بالنسبة لك الحصان الأسود .. وضعت اسمه في آخر القائمة .. والسؤال : من أقل الشخصيات احتمالا لارتكاب الجريمة ؟ ليدي "ماري" "وايج" .. ومع هذا وضعت اسم "ماندرز" بعدهما لأنك أردت أن تكتم رأيك . قال "ساترزويت" "بدهشة :

– هل أنا حقا ذلك الطراز من الناس؟

–نعم ..أنت ذكي قوي الملاحظة وتفضل أن تحتفظ بالنتائج لنفسك .

حاول "ساترزويت" أن يقول شيئا ولكن دخول سير "تشارلز" قطع كلامه، كان الممثل يتأفف من البرد ، وقال :

–والآن .. فلنضع الخطة .. أين قائمة الأسماء ؟ وأنت يا مسيو "بوارو" ما رأيك بالنسبة لتقسيم العمل ؟

– نريد أن نعرف رأيك أولا ياسير "تشارلز" .

– حسن .. نستطيع أن نقسم هؤلاء الناس .. أولا مسز "داكريس" التي تثير انتباه "ايج" .. وكابتن "داكريس" أنا أعرف بعض أصدقائه من عشاق السباق وأستطيع أن أتولى هذا الجانب .. ثم هناك "انجيلا ساتكليف" .. قال "بوارو" : يبدو أنها من اختصاصك أيضا يا كارترهوايت" لأنك تعرفها معرفة جيدة .

– لهذا أفضل أن يتولى أمرها غيري حتى لا أتهم بالتحيز .

– تماما .. يستطيع "ساترزويت" أن يقوم نيابة عنك بهذه المهمة .

–لا تدخل ليدي "ماري" و"ايج" في الحساب .. ولكن ظهور "أوليفر ماندرز" ليلة موت "تولي" والحادث الذي وقع له يفترض أن يشمله البحث .

قال "بوارو" بهدوء :

– سوف يتولى أمره "ساترزويت" أيضا .. ولكنك نسيت اسما تضمنته القائمة .. أعني مسز "موريل ويلز"

–هل فعلت ؟ حسن سوف تكون مس "ويلز" من نصيبي .. ألديك اقتراحات أخرى يا مسيو "بوارو"؟

– كلا كلا .. سوف يسعدني أن أسمع النتائج التي تتوصلون إليها..

–نقطة أخرى .. لو حصلت على صور للأشخاص يمكن أن نستعين بها عند إجراء تحرياتنا في "جيلنج"

–ممتاز.. هناك شيء آخر .. لم يكن صديقك "بارثلوميو" يتناول الكوكتيل ولكنه يشرب عصيرا ؟

– نعم .. كان لديه ضعف بالنسبة للمشروبات الأخرى

– يبدو غريبا لي أنه لم يشعر بطعم غريب في الشراب رغم أن النيكوتين الخالص يتميز برائحة نفاذة غير محبوبة .

– يجب أن تتذكر أنه من المحتمل عدم وجود نيكوتين في الشراب .. هل تذكر أن محتويات الكأس تم تحليلها ؟

– آه .. كان ذلك غباء مني .. ولكن أيا كانت الطريقة التي استخدم بها النيكوتين فطعمه غير مقبول . قال سير "تشارلز" ببطء :

– لا أدري ما أهمية ذلك .. كان "تولي" يعاني خلال فصل الربيع الأخير من الانفلونزا الحادة مما يؤثر على حاستي الشم والتذوق عنده . قال "بوارو" مفكرا :

–آه ..نعم .. ربما كان هذا هو السبب .. هذا يبسط الأمور تماما .. اتجه "سير تشارلز" نحو النافذة ونظر إلى الخارج وقال :

– لا تزال العاصفة تهب .. سوف أرسل من يحضر حقائبك يا مسيو "بوارو" .. أنت في حاجة إلى سرير مريح .. غادر سير "تشارلز" الغرفة ، والتفت "بوارو" نحو "ساترزويت قائلا :

–هل تسمح لي باقتراح ؟

– نعم ..

مال "بوارو" بجسمه إلى الأمام مقتربا من "ساترزويت" ؛ و قال في صوت منخفض :

– اسأل صديقك " ماندرز " لماذا اختلق حادث الاصطدام بالسور .. أخبره أن الشرطة ترتاب فيه وانظر ماذا يقول ؟

– ٣ –

دخلت "ايج" معرض أزياء " أمبروزين " في ميدان " بيركلي " . واستعرضت ببصرها المكان الذي قام بإعداد ديكوراته مهندس ديكور شاب ذائع الصيت ، أقبلت مسز " داكريس " نحوها بفتور وعندما عرفت أن الشابة جاءت تطلب مجموعة من الثياب افترثغرها عن ابتسامة شاحبة وعرضت مجموعة من الفساتين الفاخرة وهي لا تدري أن ميزانية "ايج" لا تتجاوز خمسة عشر جنيهات وبضعة شلنات ، وعندما اطمأنت مسز " داكريس " إلى زبونتها الشابة انتهزت "ايج" الفرصة وقالت :

– أعتقد أنك لم تذهبي إلى "عش الغراب " منذ تلك الليلة ،

– كلا .. لا أحب الأماكن التي يرتادها الفنانون.

– كانت ليلة فظيعة .كان مستر " بابنجتون" العجوز كالقط الأليف ألم يسبق لك رؤيته من قبل ؟

– لا أتذكر ..

– يخيل إلي أنني سمعته يقول إنه : قابلك في مكان يسمى "جيلنج"..

– أقال هذا ؟

التفتت مسز" داكريس " نحو زبونة أمريكية وتركت " ايج" مع واحدة من العاملات ، وبقيت " ايج" هنيهة قصيرة وقالت للعاملة إنها سوف تفكر وتعود عندما يستقر رأيها .. عندما وصلت إلى شارع " بيرتون " تطلعت إلى ساعتها وكانت الواحدة إلا الثلث ، لقد كان وقت تنفيذ الخطوة التالية .. تجاوزت ميدان" بيركلي " ثم عادت إليه في تمام الواحدة وتشاغلت بمشاهدة الفترينات ، وعندما لمحت مس "دوريس سيمس " تخرج إلى الميدان اقتربت منها قائلة :

– معذرة .. هل أستطيع أن أتحدث معك قليلا عندما رمقتها الفتاة

بدهشة قالت لها "ايج" :

– ألست واحدة من عارضات الأزياء بمحل " أمبروزين " لاحظت أنك صاحبة أبدع قوام أثناء زيارتي للمحل هذا الصباح .. ابتسمت " دوريس" مسرورة بالإطراء ، وعرضت عليها "ايج " تناول الغداء في أحد المطاعم الفاخرة ، ورحبت " دوريس " وعندما استقرتا على إحدى الموائد قالت " ايج" إنها تعمل صحفية وتكتب بعض الموضوعات عن المهن المختلفة للسيدات ، وقد اختارت أن تكتب في هذه المرة عن عارضات الأزياء .. أخرجت " ايج " من حقيبتها نوتة صغيرة أخذت تسجل فيها المعلومات التي تدلي بها الفتاة عن مواعيد العمل والأجور ومحاسن المهنة ومتاعبها ، ثم مالت نحو "دوريس " قائلة :

– سوف أفضي اليك بسر.. عندما زرت معرضكم هذا الصباح لم يكن في نيتي الشراء لأن كل ماأملكه بضعة جنيهات .. أظن مسز "داكريس" تثور غضبا لو عرفت هذه الحقيقة . ضحكت " دوريس " قائلة :

– لا أشك أن ثورتها تكون عارمة ..

–كنت أفكر دائما أن مسز " داكريس " تبدو كالقطة المتوحشة .. ما رأيك أنت ؟

–لاتحبها عاملة واحدة في المعرض يا مس " ليتون جور وهذه حقيقة ..إنها حادة الطباع شديدة الصرامة ولكنها تعرف عملها جيدا .. وهي ذكية تعرف كيف تختار الثياب المناسبة لكل زبونة وتجعلها تدفع الأثمان الباهظة راضية النفس ..

– أعتقد أنها تربح الكثير ؟ هزت " دوريس " رأسها وأخبرت "ايج " أن مسز " داكريس " تقترض من أحد الأثرياء اليهود كي تستطيع مواصلة العمل إلى أن تتحسن الظروف ، ورجحت أن مسز " داكريس " لاتنام الليل ، ووردا على سؤال عن الكابتن " داكريس" قالت :

–إنه رجل غريب الأطوار .. نحن لانراه كثيرا ولكن مسز

"داكريس" مولعة به رغم كل عيوبه .. ورغم هذا .
ثم قالت "نوريس" بصوت منخفض :

– سرت بعض الشائعات حول علاقة المدام بشاب واسع الثراء في الفترة الأخيرة ..وقيل إن الحالة المالية للمعرض كانت في سبيلها إلى التحسن لولا أن الشاب تلقى أمرا بالسفر في رحلة بحرية إلى الخارج .. حدث ذلك فجأة .

– من الذي أصدر إليه الأمر ؟

– طبيب ؟

– نعم .. أحد أطباء شارع "هارلي" ..

– سير " بارثلوميو سترينج" ؟

– أعتقد أن هذا هو اسمه .. كانت المدام بين المدعوين إلى الحفل في بيت الطبيب وكنا نضحك فيما بيننا ونقول إنها ربما قتلته انتقاما لما حدث ..أنت تعرفين أن ذلك كان على سبيل المزاح لا أكثر ..

– أعرف.. وإن كنت أرى أن مسز "داكريس" متحجرة القلب ويمكن أن تكون قاتلة ..

– إنها ذات طباع حادة بالفعل ، وعندما تثور ثائرتها لا أحد منا يستطيع الاقتراب منها .. ويقال إن زوجها يخشاها ولا غرابة في ذلك ..

– ألم تسمعيها تتحدث عن شخص يدعى "بابنجتون" أو مكان في كنت يسمى " جيلنج" .

– لا أذكر أنني سمعتها تتحدث عن شيء كهذا .. نظرت " نوريس" إلى ساعتها واستأذنت حتى لا تتأخر متمنية لـ "ايج" النجاح في سلسلة مقالاتها ، وضحكت " ايج" بينها وبين نفسها وهي تعرف أن الفتاة سوف تنتظر طويلا حتى تقرأ المقال ، وبعد انصراف "نوريس" سجلت "ايج" في مفكرتها :

"سينثيا داكريس" تواجه أزمات مالية .. يقال عنها إنها حادة الطباع .صدرت الأوامر إلى شاب ثري أشيع أنها على علاقة به ،

بالسفر إلى الخارج أصدرالامر الدكتور " بارثلوميو سترينج " .. لم تظهر أي رد فعل عند ذكر " جيلنج " أو عند سؤالها عما إذا كانت تعرف " بابنجتون " من قبل .. همست "ايج" لنفسها : لا يبدو أنني أحرزت تقدما يذكر ، سوى وجود دافع لقتل الطبيب وهو دافع هزيل ، أنا لا أستطيع أن أستخلص شيئا من هذا .. ربما كان مسيو "بوارو" يستطيع .. لم تكن "ايج" قد انتهت من برنامج اليوم ، وكانت حركتها التالية نحو بيت "سانت جونز" حيث يستأجر كابتن " داكريس " مسكنا في تلك البناية الفاخرة ، لم تدخل " ايج" المبنى وإنما ظلت تذرع الشارع جيئة وذهابا حتى لمحت الكابتن " داكريس " يهبط من إحدى سيارات الأجرة ، وانتظرت بضع دقائق قبل أن تدخل المبنى وتدق جرس الباب فتح لها الكابتن بنفسه وكان لايزال يخلع معطفه ، وقالت :

– كيف حالك يا سيدي .. هل تذكرني ؟ سبق أن تقابلنا في " كورنوول " ثم مرة ثانيه في " يوركشاير" .

– آه بالطبع .. حيث حدثت وفاة في المرتين .. تفضلي بالدخول يا مس " ليتون جور " .. أخبرته أنها جاءت لتقابل زوجته ، وأجابها بأنها لا تزال في معرض الأزياء ، وهمس " داكريس " لنفسه وهو يتأملها :

– فتاة حسنة المظهر .. رائعة الجمال بحق .. ثم قال بصوت مرتفع : لن تعود "سينثيا"قبل السادسة .. ثم عرض عليها الذهاب إلى النادي ليتناولا معا كأسا من الشراب وقبلت "ايج" الدعوة ، وعندما جلسا تطلعت " ايج" حولها مبهورة بفخامة المكان ، وابتسم " فريدي داكريس " بزهو .. كان يحب الشابات الحسان ، وقال " داكريس " :

– كان ما حدث مزعجا ..أعني ما حدث في " يوركشاير" أن يموت طبيب مقتولا بالسم .. المفروض أن الطبيب هو الذي يقتل الناس بالسم .. ضحك الكابتن مسرورا بدعابته ، وقالت " ايج " :

– أليس غريبا أن تكون مقابلتنا دائما في مناسبة تحدث فيها وفاة ؟

– تعنين موت رجل الدين العجوز ..

–نعم .. كانت طريقة موته المفاجيء غريبة ..

– هل ترتجفين اعتقادا منك أن الدور التالي علي؟

– ألم تعرف مستر " بابنجتون " قبل ذلك في "جيلنج"؟

– لا أعرف المكان ولم أر "بابنجتون" من قبل . الغريب أنه مات بنفس الطريقة التي مات بها "سترينج" العجوز .. هل تعتقدين أنه مات مقتولا أيضا ؟

– مارأيك أنت ؟

–لا أظن .. لا أحد يقتل رجال الدين .. أما الأمر فيختلف بالنسبة للأطباء .. يتدخلون كالشياطين في حياة الناس .. لا يتركون الناس وشأنهم .. هل تفهمين وجهة نظري ؟

– لست أفهم ما تعنيه على وجه التحديد .

– يافتاتي العزيزة إنهم قساة القلوب .. يحكمون على الناس بالعزلة عن العالم ويمنعون عنهم ما يحبون من الطعام .. يعذبون الناس ولا يهمهم شيء .. ظهر الألم على وجهه ثم أردف يقول بمرارة :

– هذا هو شأن الأطباء ويسمون ذلك علاجا .. ويزعمون أنهم يحسنون صنعا وهم أوغاد . قالت " ايج " بحذر :

– هل أراد سير " بارثلوميو سترينج " – ؟

– سير" بارثلوميو سترينج " .. أريد أن أعرف ما يجري وراء أسوار تلك المصحة ..علاج الأعصاب.. هذا ما يقولونه ويدعون أن المرضى أتوا بإرادتهم . كان جسده يرتجف الآن وقال فجأة بصوت منكسر :

– لقد انشطرت إلى أجزاء عديدة .. تحطمت !

اعتذرلها وطلب من الساقي كأساآخر من الشراب بينما رفضت " ايج" كأسا أخرى ، وقال الكابتن " داكريس ":

– أنا أحسن حالا الآن .. أمر سيىء أن يفقد الإنسان أعصابه .. يجب ألا أغضب "سينثيا " طلبت مني عدم الكلام .. لا ينبغي إخبار الشرطة بكل هذا فقد يظنون أنني قتلت ذلك الطبيب العجوز .ألا

تدركين أن أحدهم فعل ذلك ؟ واحد من بيننا .ترى من هو ؟ هذا هو السؤال .

– ربما كنت تعرفه !

– ماذا تقولين ؟ من أين لي أن أعرف ؟ نظر إليها بغضب وارتياب ثم قال :

– لا أعرف شيئا .. وأؤكد لك أنني لم أكن مستعدا لقبول علاجه مهما كانت الحجج التي تتذرع بها "سينثيا" .. لم أكن مستعدا لقبول علاجه .. كان يسعى إلى تحقيق هدف معين .. كانا يريدان معا الوصول إلى غرض معين ولكنهما لم ينجحا في خداعي .تماسك "داكريس "وقال بحزم :

– أنا رجل قوي يا مس " ليتون جور " ..

– أنا واثقة من ذلك .. ولكن قل لي .. هل تعرف شيئاعن سيدة تدعى مسز " راشبريدجر " تنزل بالمصحة ؟

–"راشبريدجر " ؟ راشبريدجر " ؟ سمعت " سترينج " العجوز يتحدث عنها .. ما مرضها ..لا أتذكر شيئا لقد بدأت ذاكرتي تضعف .. هذه هي حالتي ولدي أعداء .. أعداء كثيرون .. ربما كانوا يتجسسون علي في هذه اللحظة .. تطلع حوله بقلق ثم مال بجسمه إلى الأمام قائلا:

– ما الذي كانت تفعله تلك السيدة في غرفتي ذلك اليوم ؟

– أية سيدة ؟

– تلك السيدة ذات الوجه الشبيه بالأرنب .. التي تكتب المسرحيات .. كنت عائدا بعدالإفطار ورأيتها تتسلل خارجة من غرفتي .. ماذا كانت تريد وعن أي شيء تبحث .. أم لعلك تظنين أن ما قالته " سينثيا " صحيح ؟

– ماذا قالت مسز " داكريس" ؟

– تقول إنني أتخيل الأشياء .. قد أتخيل رؤية فار أو ثعبان لكن رؤية سيدة أمر مختلف .. لقد رأيتها بالفعل .. إنها سيدة شاذة تنفذ نظراتها إلى أعماقك . تراجع الكابتن بجسمه إلى الوراء وبدا عليه أنه على وشك الاستسلام للنوم ، ونهضت " ايج" قائلة إنها ذاهبة وشكرته وهو يقول بصوت نائم :

– لا تشكريني . لقد سعدت .. سعدت للغاية .

غادرت القاعة إلى هواء الليل البارد في الخارج .. لقد قالت " بياتريس " إن المس " ويلز " تتلصص وتتجسس وها هي ذي تسمع تلك القصة من "فريدي داكريس" .. عم كانت مس "ويلز" تبحث ؟ ما الذي عثرت عليه ؟ هل من المحتمل أن تكون قد توصلت إلى شيء ؟

هل هناك شيء من الحقيقة بالنسبة لتلك القصة التي سمعتها عن سير " بارثلوميو" سترينج" ؟ هل كان " فريدي داكريس " في قرارة نفسه يخشى الطبيب ويكرهه ؟ بدت الفكرة محتملة ، ولكن لاشيء يشير إلى اتصاله بما حدث لـ " بابنجتون " . وهمست " ايج" لنفسها : كم يكون غريبا لو اتضح أن القس لم يقتل .. استرعت عناوين الصحف انتباهها واشترت صحيفة يقول" المانشيت " استخراج جثة جريمة الكورنيش من القبر .. النتيجة " اصطدمت " ايج" بسيدة أخرى تقرأ نسخة من الصحيفة وعندما همت بالاعتذار لها اكتشفت أنها المس " ميلراي " سكرتيرة سير" تشارلز " ووقفنا جنبا إلى جنب تطالعان الخبر الذي يؤكد العثور على النيكوتين عند التحليل ، وقالت

– اذن فقد مات مقتولا !

وقالت مس "ميلراي" : هذا فظيع .. فظيع .. انني في أشد الألم .فقد عرفته منذ نعومة أظفاري .

– تعنين مستر " بابنجتون " ؟

– نعم .. تعيش أمي في "جيلنج" حيث قضى وقتا من عمره .. إنني لاأدري في الواقع ماذا أفعل تضرج وجهها بحمرة الخجل أمام نظرات " ايج" المندهشة وقالت بسرعة :

– أحب أن أكتب لمسز " بابنجتون " .. ولكن يبدو أن الوقت غير مناسب .. على أي حال ، بدا ذلك التفسير لـ " ايج" غير مقنع ..

– ٤ –

قالت مس "ساتكليف" : والآن أريد أن أعرف هل أنت صديق أم

شرطي سري ؟ نظر مستر " ساترزويت " بابتسام إلى القدمين الجميلتين وتأمل الحسن اللافت للنظر الماثل أمامه ، وأردفت مس " ساتكليف " تقول :

– هل جئت تتأمل جمال عيني أم لتمطرني بوابل من الأسئلة عن الجرائم .

وقالت الممثلة باسمة :

– لا أدري ما إذا كان إطراء أو إهانة اعتبارك لي قاتلة .. على أي حال أعتبر ذلك إطراء .. همس " ساترزويت " لنفسه : مخلوقة ساحرة .

وقال بصوت مرتفع :

– أعترف لك ياسيدتي العزيزة أن موت سير " بارثلوميو" أثار اهتمامي .ولي بعض التجارب السابقة في مثل هذه الأمور .

– أخبرني أولا .. هل قالت الفتاة شيئا له قيمة ؟

– أي فتاة وماذا قالت ؟

– تلك التي تدعى "ليتون جور " .. تلك المفتونة بـ " تشارلز" .. إنها تعتقد أن الرجل العجوز في " كورنوول " مات قتيلا هو الآخر .

– وما رأيك أنت ؟

– أعتقد أن الأمر كذلك.. إنها فتاة ذكية .... أخبرني هل " تشارلز" جاد ؟

– أعتقد أن رأيك في مثل هذه الأمور يكون أفضل من رأيي .

– يالك من رجل حذر متعب .. إنني أعرف " تشارلز" جيدا وأعرف الرجال خير معرفة .. يبدو لي أنه قرر الاستقرار وتكوين أسرة .. كم يبدو الرجال أغبياء عندما يفكرون في الاستقرار .. إنهم يفتقدون سحرهم

– إنني دهش لماذا لم يتزوج سير " تشارلز " ؟

– يا عزيزي .. لم يبد أي رغبة للزواج .. ليس من الطراز الذي يحب الزواج .. ولكنه كان رجلا جذابا .. الجميع يعرفون أنه جرت علاقة بيني وبينه .. كانت فترة ممتعة ولكنها لم تستمر .. وما زلنا حتى هذه اللحظة أصدقاء .. وهذا سبب النظرة الشرسة التي تنظر بها " ايج" لي .. لا تزال

ترتاب في ميلي نحو تشارلز" .

– أعتقد أنك على حق بالنسبة لمشاعر الفتاة نحوك .

– لا أنكر أنني أغار منها بعض الشيء .. نحن معشر النساء كالقطط تخمش .. ناو.. ناو.. ضحكت بجذل وقالت :

– لماذا لم يأت "تشارلز" بنفسه ليسألني عن هذا الموضوع ؟ وربما كان يظن أنني مذنبة .. هل أنا مذنبة يامستر "ساترزويت" ؟ وقفت ومدت يدها قائلة إن كل العطور العربية لايمكن أن تعطر هذه اليد الصغيرة وأنها ليست ليدي "ماكبث" .. قال "ساترزويت":

– يبدو أنه لا يوجد دافع ..

– هذا صحيح .. كنت أميل نحو "بارثلوميو سترينج" ،كنا أصدقاء ، ولم يكن لدي سبب للتخلص منه ويهمني بحكم صداقتي له أن أسهم في مطاردة المجرم .. هل أستطيع أن أساعد ؟

– ألم تسمعي أو تري مايمكن أن يلقي الضوء على القضية ؟

– ليس عندي أكثر مما قلته للشرطة .

– وما رأيك في الخادم ؟

– لم أشعر به تقريبا .

– أي سلوك من جانب أحد الضيوف ؟

– كلا .. ولكن ذلك الشاب "ماندرز" .. كان ظهوره مفاجأة .

– هل أدهش ظهوره سير "بارثلوميو" أيضا .

– نعم .. أخبرني قبل العشاء مباشرة أن ظهوره كان مستغربا ..

– هل كان سير "بارثلوميو" في حالة نفسية طيبة ؟

– كان في أحسن حالاته .

– وماذا بشأن الممر السري الذي حدثت الشرطة عنه ؟

– أعتقد أنه يؤدي إلى المكتبة .. وعدني سير "بارثلوميو" بأن يطلعني عليه ولكن المسكين مات ..

– ألم يتحدث عن إحدى مريضاته .. مسز "دي" راشبريدجر"؟

– كلا.

– هل تعرفين مكانا في "كنت" يسمى "جلينج" ؟

– "جلينج" ؟ كلا .. ولكن لماذا ؟

– حسن .. هل كنت تعرفين مستر "بابنجتون" من قبل ؟

– من هو مستر "بابنجتون" ؟

– الرجل الذي مات أو قتل في "عش الغراب" .

– أوه .. رجل الدين .. كلا لم أره في حياتي من قبل .. أمام هذا التصريح الأخير لم يجد "ساترزويت" بدا من الانصراف .

* * *

جال سير "تشارلز" ببصره في الحجرة انتظارا لدخول مس "ويلز" ووجد المكان غيرلائق بالكاتبة المسرحية ، وبينما يتأمل تمثالا صغيرا فوجيء بدخول المس "ويلز" دون أن يسمع وقع أقدامها ، ورحبت به الكاتبة المسرحية وأخذت تحدثه عن مسرحيتها القادمة التي كتبتها لمس "ساتكليف" التي جاءت في زيارة في اليوم السابق ، وقال سير "تشارلز" :

– هل تستطيعين أن تخمني سبب زيارتي ؟ قالت مس "ويلز" بخبث :

– لا أظن أنك أتيت لمجرد رؤية شخصي الضعيف . قارن سير "تشارلز" في ذهنه بين مس "ويلز" في كتابتها وفي حديثها ، كانت في كتابتها ساخرة وفي حديثها ماكرة وقال سير "تشارلز" :

– كان "ساترزويت" في الواقع هو الذي أدخل الفكرة في رأسي .. يتخيل نفسه حكما قادرا على فهم الشخصيات .

– إنه بالغ الذكاء يفهم الناس فهما جيدا .. أستطيع أن أقول إنها هوايته.

– ومن رأيه لو أن شيئا حدث في تلك الليلة جديراً بالملاحظة فلابد أنك تنبهت إليه .

– يجب أن أعترف بأنني لم أر في حياتي قط جريمة ترتكب ، وعلى الكاتب المسرحي أن يستمد موضوعاته من واقع الحياة .. لهذا فقد

حاولت أن ألاحظ كل مايجري من حولي . وعندما سألها عما إذا كانت قد توصلت إلى شيء ، أجابت بأنها لو اكتشفت شيئا لأخطرت الشرطة ، وعندما كرر سير " تشارلز" سؤاله قالت :

–لم ألا حظ شيئا له قيمة .. مجرد تصرفات غريبة لبعض الأشخاص ..

قال سير تشارلز" باسما :

– أرى أن قلمك أشد حدة من لسانك .

– أعتقد أنك فظيع يا سير" تشارلز" ..

– أفهم يا مس "ويلز" أنك لم تتوصلي إلى شيء قاطع ؟

– كلا .. ليس تماما .. على الأقل لاحظت شيئا كان ينبغي أن أخبر الشرطة به ولكنني نسيت .

– وما هذا الشيء ؟

– الخادم .كانت لديه شامة على معصمه الأيسر .. لاحظتها عندما كان يقدم لي الطعام .. وربما كانت لهذه الملاحظة بعض الفائدة .

– إنها مفيدة حقا خاصة وأن رجال الشرطة يواصلون البحث عن "إيليس" أنت قوية الملاحظة يا مس "ويلز" .. لم يلاحظ واحد من الضيوف أو الخدم هذه الملاحظة .

– معظم الناس لا يحسنون استخدام حاسة البصر .

– كيف كان شكل العلامة وكم حجمها ؟

– لو أنك مددت لي يدك لأريتك .. شكرا لك .. كانت هنا وكانت في حجم قطعة النقود من فئة الستة بنسات ويشبه شكلها قارة استراليا .

سحب سير " تشارلز" يده وسألته مس "ويلز" عما إذا كان ينبغي لها أن تخطر الشرطة ، وحبذ الفكرة ثم قال :

– المشكلة أن معظم الناس غير واضحي الشخصية .. "بابنجتون "على سبيل المثال كان شخصية غامضة لا يستطيع الإنسان أن يحدد معالمها .

قالت مس" ويلز" : كانت يداه متميزتين .. ما أسميه يدي المعلم .. أصابع دقيقة وأظافر جميلة ..

– أنت قوية الملاحظة بشكل مثير .. ولكن .. ولكنك كنت تعرفين "بابنجتون" من قبل .. أذكر أنه قال لي ذلك ..

– كلا .. أنت تخلط بيني وبين شخصية أخرى .. إنني لم أقابل "بابنجتون" من قبل ..

–ربما أكون قد أخطأت .. كنت أعتقد أنكما تقابلتما في "جيلنج"

تفرس في وجهها مليا فوجدها متماسكة تماما ، وأكدت له أنها لم تر "بابنجتون" في أي مكان من قبل ، وتابع سير" تشارلز" حديثه قائلا :

– هل تدركين يا مس "ويلز" أنه ربما مات مقتولا هو الآخر ؟

– أعرف أن هذا هو رأيك ورأي مس " ليتون جور" ..

– أوه .. وما رأيك أنت ؟

– لا أرى ذلك محتملا ..

وعندما سألها عما إذا كانت قد سمعت الطبيب يتحدث عن سيدة تدعى مسز "دي راشبريدجر " أجابت بالنفي ، وقال سير" تشارلز" إنها واحدة من مرضاه في المصحة تعاني من انهيار عصبي وفقدان للذاكرة .

– أذكر أنه تحدث عن حالة لفقدان الذاكرة وقال :إنه من الممكن اعادة الذاكرة عن طريق التنويم المغناطيسي .

– أليس لديك شيء آخر يمكن أن تقوليه عن أي واحد من الضيوف؟

خيل لسير " تشارلز" أنها ترددت قليلا قبل أن تجيب بالنفي ولكنه كرر السؤال وسألها عما إذا كانت قد لاحظت شيئا بالنسبة لمسز" داكريس " أو مس" سا تكليف" أو "ماندرز" وكررت اجابتها بالنفي ، وقال سير " تشارلز" :

– سوف يشعر "ساترزويت "بخيبة الأمل . نهض معتذرا لأنه ربما عطلها عن كتابة مسرحيتها الجديدة التي قالت إنها تدورحول فكرة التشهير ، وقال سير "تشارلز" باسما:

– هذا يؤكد فكرتي عن أنك سيدة قاسية .وأجابته بدورها باسمة :

– لا تخش شيئا يا سير" تشارلز" .. لا تقسو السيدات على

الرجال، وإنما تنصب قسوتهن على بنات جنسهن .

– تعنين أنك تستخدمين سكينك الحاد في تحليل إحدى السيدات منكودات الحظ .. ترى أي واحدة منهن ؟ ربما كانت " سينثيا " لأنها غير محبوبة من بنات جنسها .

لم تعلق مس "ويلز" على ذلك بشيء، وظلت تبتسم ، وسألها سير" تشارلز":

– هل تكتبين بنفسك أم تملين على أحد ؟ ..

– أوه .. أكتب بنفسي وأرسل النص ليكتب على الآلة الكاتبة .

– ينبغي أن تتخذي لك سكرتيرة .

– ربما .. أما زالت لديك مس" ميلراي " تلك السكرتيره الذكية ؟

– نعم .. أخذت إجازة قصيرة لتزور أمها المريضة في الريف ولكنها سوف تعود بعد قليل .. إنها سكرتيرة ممتازة . أستأذنك الآن في الانصراف .. ولا تنسي أن تخطري الشرطة عن تلك العلامة المميزة على معصم الخادم .

– تعني الشامة على المعصم الأيمن ؟ كلا لن أنسى .. – هل قلت المعصم الأيمن ؟ ولكنك ذكرت أنك شاهدتها منذ قليل على معصمه الأيسر..

– هل فعلت ذلك .. كم أنا غبية .

– حسن ..على أي معصم كانت .. ؟

– دعني أتذكر ..كنت جالسة هكذا وهو – هل تسمح يا سير "تشارلز" بأن تناولني الطبق المعدني .. آه .. الجانب الأيسر .. أنا متأكدة الآن ..كان كما قلت أولا .. في الجانب الأيسر .استأذن سير " تشارلز" للمرة الثالثة ، وبينما كان يغلق الباب وراءه لم تكن مس " ويلز "تنظر اليه ، كانت لا تزال واقفة حيث تركها وهي تحملق إلى نيران المدفأة ، وعلى شفتيها ابتسامة ماكرة ارتجف سير " تشارلز" وهو يهمس لنفسه : هذه السيدة تعرف شيئا ..أقسم أنها تعرف شيئا ولكنها لا تريد أن تتكلم .. ولكن ما الذي تعرفه بحق السماء ؟

– ٥ –

ذهب " ساترزويت " إلى المكتب الذي يعمل فيه " أوليفر ماندرز" واستقبله الشاب في مكتبه الصغير مرحبا ، وقال " ساترزويت " :

– هل قرأت صحف الصباح ؟

– تعني أخبار الموقف الاقتصادي ؟ حسن .. – الدولار –

– أعني نتيجة تحليل الجثة التي استخرجت من القبر .. مات "بابنجتون" مسموما – بالنيكوتين .

– أوه ..أهذا ما تعنيه ..أعتقد أن " ايج" سعيدة لأن ظنها تحقق .. ولكن الجريمة بعد كل شيء عنيفة وغير فنية . قال " ساترزويت " :

– إن "ماندرز" لو ارتكب الجريمة فإنه يفعل ذلك بطريقة فنية ، وقال " ماندرز " بجفاف :

– لطيف منك أن تقول هذا ..

– بصراحة أنا أشك في الحادث الذي دبرته ، وقد فهمت أن هذا هو رأي الشرطة أيضا . سقط القلم من يد "ماندرز" على الأرض ، وتابع " ساترزويت "حديثه قائلاً :

–كان تصرفك في " ميلفورد آبى " غير فني .. ويهمني أن أستمع إلى تفسيرك .خيم الصمت هنيهة وسأل الشاب :

– تقول إن الشرطة تشك في الأمر أومأ (ساترزويت) برأسه وقال بارتباك :

– لقد جئت إلى هناك – بالطريقة التي فعلتها – بناء على اقتراح سير " بارثلوميو" نفسه .. قد يبدو ذلك غريبا ولكن هذا ما حدث .. تلقيت خطابا منه يطلب مني أن أفتعل حادثا لأحضر الحفل الذي يقيمه وأخبرني أنه لا يستطيع أن يذكر الأسباب في خطابه ولكنه سوف يشرح لي الأمر في أول فرصة .. والذي حدث أنني وصلت قبل العشاء مباشرة ولم تسنح لي فرصة الانفراد به حتى وفاته .. سأله "ساترزويت" عما إذا كان يحتفظ بالخطاب وأجاب الشاب إنه مزق الرسالة بعد قراءتها ، وقال " ساترزويت " ببرود :

– ومع هذا لم تذكر ذلك للشرطة ؟ هز " ساترزويت " رأسه والشاب يتأمله ليرى ما إذا كان قد صدق القصة ، وقال " ساترزويت " أخيرا :

– قصة غير عادية لا يتقبلها العقل .

– أنا معك .. ولكن الفضول دفعني إلى تنفيذما طلب مني.

سأله " ساترزويت " عماإذا كانت لديه أخبار أخرى، وقال الشاب :

– أعتقد أنها تلك المرأة التي لم تستطع أن تحبس لسانها . وعندما سأله عمن تكون السيدة قال إنها " انتوني أرمسترونج " وأنه كان يتحدث معها عندما سقطت مفكرته من جيبه ووقعت منها قصاصة من إحدى الصحف ، وانحنت " أنتوني " لتلتقطها وتعيدها إليه ولكنها كانت قد قرأت الخبر المنشور في القصاصة ، ويتعلق الخبر بالمفعول القاتل للنيكوتين، وسأله " ساترزويت " عن الدافع لاهتمامه بذلك السم ، وأجاب الشاب أنه لم يكن مهتما بذلك الموضوع ولا يذكر متى قطع تلك القصاصة ووضعها في المفكرة ، وختم الشاب حديثه قائلا :

– لا شك أنها هي التي نقلت الخبر إلى الشرطة . هز " ساترزويت " رأسه علامة النفي ، وقال " ماندرز " فجأة :

– أنا بريء ياسيدي .. أنا بريء من هذه التهمة .

– أنا لم أقل إنك مذنب .

– لماذا جئت لمقابلتي إذن ؟

– جزئيا بسبب ما توصلت إليه في أبحاثي .. ومن الناحية الأخرى بناء على اقتراح صديق .. عندما سأله الشاب عمن يكون ذلك الصديق وأخبره " ساترزويت" أنه مسيو " بوارو " . صاح " ماندرز " بقلق :

– لماذا عاد ؟ وقف " ساترزويت " وهو يقول له بهدوء :

– لماذا يطارد الكلب الفريسة ؟ وغادر الغرفة راضيا ..

* * *

أعربت " ايج " في الاجتماع الذي عقده " بوارو " في الجناح الذي

ينزل فيه بفندق " ريتز" عن خيبة الأمل لعدم إحراز تقدم ، وقال "بوارو" إنه على العكس يرى أن الخطوات الأخيرة ألقت الضوء على بعض الأمور ، وعندما سأله " ساترزويت" عن رأيه في قصة " ماندرز " قال إنها أكذوبة ، ولكن الأكاذيب أنواع مختلفة ، وسألته "ايج" عن الخطوة التالية فقال إنه لا يزال مقتنعا بأن التفكير هو خير طريق للوصول إلى الحقيقة ، وقال لها إنها تستطيع الذهاب إلى "جيلنج" لمقابلة أم المس "ميلراى" ، فهي مقعدة ولا شك تسمع وترى الكثير ، فضلا عن أن "بابنجتون" عاش سنوات طويلة في "جيلنج" وعندما عادت "ايج" تسأله بإلحاح عن دوره قال :

– حسن ، تريدين مني الحركة ، سوف أقيم مساء الاثنين حفل شراب وسوف أدعو إليه إلى جانب مجمعتنا هذه أمك ومسز" داكريس " وكابتن "داكريس" ومس "ساتكليف" ومس " ويلز" والمستر " ماندرز " صاحت " ايج " قائلة بفرح :

– آه ، لاتستطيع أن تخدعني يا مسيو " بوارو" .. سوف يحدث شيء في هذا الحفل .. أليس كذلك ؟

– سوف نرى .. ولكن لا تنتظري الكثير يا مدموازيل .. والآن اتركاني مع سير " تشارلز" لأنني أريد أن أستشيره في بعض الأمور. خرجت " ايج" مع " ساترزويت" ، وقالت " ايج" بمرح :

– سوف يكون ذلك رائعا .. مثلما يحدث في الروايات البوليسية . سوف يلتقي الجميع وعندئذ يخبرنا عمن ارتكب الجريمة ..

قبل الجميع الدعوة ، وضحكت مس "ساتكليف" أمام الجميع قائلة لـ"بوارو":

– جئنا جميعا إلى بيت العنكبوت كالذباب .. سوف نستمع إليك وأنت تلخص القضية ثم تشير نحوي بإصبعك قائلا : أنت القاتلة ، وهنا يجب علي أن أعترف وأنهار باكية .. مسيو " بوارو" .. أنا أشعر نحوك بالخوف . قال بوارو :

– هذا حفل ودي .. فلنترك الحديث عن الجريمة والدم والسم لأن مثل هذه الأشياء تفقد الإنسان الشهية .. قدم كأسا لـ مس " ميلراي " التي جاءت بصحبة سير " تشارلز " وقال :

– دعونا ننسى المناسبة التي التقينا فيها لأول مرة ولنستمتع بروح الحفل .. فلنأكل ولنشرب ونمرح لأننا غدا نموت

يا إلهي ! لقد ذكرت الموت مرة ثانية .. مدام . انحنى لـ مسز " داكريس " وهنأها على فستانها الرائع ، وقدم سير " تشارلز " كأسا لـ " ايج " وساد جو من المرح والجميع يتهامسون وارتفع صوت " بوارو " قائلا :

– أنا أفضل عصير البرتقال على غيره.. وأفضله ألف مرة على أي شراب يدمر الشهية يجب ألا ..

– ما الذي حدث ؟

قاطعه صوت مخنوق غريب .. أشبه بصيحة مختنقة واتجهت جميع الأنظار نحو سير " تشارلز " الذي كان يترنح وعضلات وجهه متشنجة ، وسقط الكأس من يده على السجادة ثم تهاوى إلى الأرض ، خيم الصمت هنيهة ثم أطلقت " أنجيلا ساتكليف " صرخة مدوية واندفعت " ايج " إلى الامام قائلة بهلع :

– " تشارلز " ! " تشارلز " ! .

أمسك بها " ساترزويت " برفق وقالت " ليدي " ماري " بأسى :

–أوه .. يا إلهي .. ضحية أخرى ؟! صاحت " أنجيلا " قائلة :

– دسوا له السم هو الآخر ؟ هذا فظيع .. ارتمت على الأريكة باكية ، وانحنى " بوارو " فوق الرجل المنبطح على الأرض ليفحصه ، ثم نهض وهو ينفض الغبار عن ثيابه بينما يخيم على المكان صمت قاتل ويصفق " ايج " على وجهه قائلة بحدة :

– أيها المغفل .. أيها الممثل الأحمق !

أتدعي أنك عظيم وتعرف كل شيء ، ويحدث ما حدث تحت سمعك

وبصرك .. لو أنك تركت الأمور ماحدث شيء .. أنت الذي قتلت " تشارلز " .. أنت .. أنت – توقفت عندما لم تجدما تضيفه ، وقال " بوارو " بأسى :

– معك حق يا " مدموازيل " .. أنا الذي قتلت سير " تشارلز " .. ولكنني قاتل من نوع خاص . أستطيع أن أقتل كما أستطيع أن أعيد الحياة لقتلاي ... تغيرت لهجته وهو يقول بصوته العادي :

– تمثيل رائع يا سير " تشارلز " .. أهنئك .. نهض الممثل وهو يضحك وانحنى للجميع ، وقالت " ايج " لـ " بوارو " :

– مسيو " بوارو " .. أنت وحش !

طلب الجميع تفسيراً لما حدث ، وطالبهم " بوارو " بالصمت ثم قال :

– سيداتي وسادتي .. كانت هذه المهزلة الصغيرة ضرورية لكي أثبت لكم ولنفسي حقيقة أخبرني عقلي قبل ذلك أنها صحيحة .. وضعت على هذه الصينية كأسا فيه ملعقة من الماء الصافي ممثلا للنيكوتين النقي .. وجميع هذه الكئوس من نفس النوع الذي يمتلكه سير " تشارلز " وسير " بارثلوميو " ونظرا لأن الزجاج سميك فإن أحدا لايستطيع ملاحظة السائل الذي لا لون له .. تخيلوا الآن كأس الشراب الذي قدم لسير " بارثلوميو سترينج " ، بعد أن تناوله ووضعه على الطاولة دس أحدهم فيه كمية كافية من النيكوتين النقي .. كان أي واحد باستطاعته أن يفعل ذلك .. الخادم .. الخادمة .. أي من الضيوف.. وقد مثلنا الليلة مأساة ثالثة ، طلبت من سير " تشارلز " أن يلعب دور الضحية ومثل الدور ببراعة .. تخيلوا لو أن هذا لم يكن تمثيلا .. كان سير " تشارلز " يموت .. ما الخطوات التي تتبعها الشرطة ؟ قالت مس " ساتكليف " : يفحصون الكأس .. الكأس التي وضعت فيها الماء . قال " بوارو " وهو يلمس الكأس بكعبه :

–فلنفترض أن به " نيكوتين " .. من رأيكم أن الشرطة سوف يحللون بقايا الكأس ويعثرون على آثار النيكوتين ؟

عندما قال بعضهم – بالتأكيد .. قال بوارو :

– أنتم مخطئون .. لن يعثروا على النيكوتين ..لأن هذا ليس الكأس الذي شرب منه سير " تشارلز" .. أخرج من جيب معطفه الخلفي كأسا أخر قال انه الكأس الذي شرب منه سير " تشارلز" . وشرح لهم كيف استخدم أسلوب الحواة عندما ساد الهرج وتركز انتباه الجميع على الضحية واستبدل الكأس دون أن يراه أحد ، ثم قال " بوارو" :

– الليلة كنا نمثل ملهاة ولكنها قد تنقلب غدا إلى مأساة حقيقية .. لهذا أرجو كل من يعرف شيئا أن يقوله الآن لكي نتجنب وقوع جريمة أخرى .

خيل لسير "تشارلز" أن هذا النداء موجه بصفة خاصة لـ مس "ويلز" إلا أن أحدا لم يتكلم ، وبدأ الضيوف في الانصراف ولم يبق سوى " ايج" وسير "تشارلز" ومستر "ساترزويت ..كانت "ايج" لا تزال غاضبة من "بوارو" ولا تريد أن تنظر إلى سير "تشارلز" ، وقال الأخير إنه لم يشأ أن يطلع أحدا على سر تجربته حتى يراقب بنفسه رد الفعل على وجه شخص معين عندما يقع سير " تشارلز" ميتا ، وسألته "ايج" بحدة عمن يعني ، وقال " بوارو" إن ذلك سره الخاص ، وسأله " ساترزويت" عما إذا كان غرضه قد تحقق قال نعم . قالت " ايج" بانفعال :

– معنى هذا أنك عرفت القاتل ؟

– تستطيعين أن تقولي إن الأمر كذلك يا " مدموازيل" .

– معنى هذا أنك تعرف الآن كل شيء ؟

– على العكس .. لا أعرف شيئا على الإطلاق .. لا أعرف على سبيل المثال سبب قتل " بابنجتون" وحتى أعرف ذلك لا أستطيع أن أثبت شيئا ..

سمعت طرقة على الباب ، ودخل خادم يحمل برقية فتحها "بوارو" وتغير وجهه وأعطى البرقية لسير " تشالز" . ومالت " ايج" بجسمها فوق كتف سير "تشارلز" وقرأت بصوت مرتفع : " أرجوك الحضور فورا لمقابلتي لأنني أستطيع أن أزودك بمعلومات قيمة عن موت " بارثلوميوسترينج" .. " مرجريت راشبريدجر" صاح سير " تشارلز" بدهشة : – مسزد ي راشبريدجر" ! كان تفكيرنا صحيحا إذن .. إن لها

دورا في هذه القضية

-٦-

دار في الحال نقاش حاد حول الخطوة التالية وقال سير "تشارلز" :

– لو أن سير "بارثلوميو" جمع كل هؤلاء الناس عن قصد فإنني أعتقد أن المفاجأة التي كان يتحدث عنها تتعلق بمسز "راشبريدجر" .. أليس كذلك يا مسيو " بوارو"؟ هز " بوارو" رأسه قائلا :

– هذه البرقية تزيد الامور تعقيدا ولكن يجب أن نتحرك بسرعة .

قالت " ايج" إنها قررت الذهاب مع سير "تشارلز" إلى "جيلنج" في الصباح، ورد سير "تشارلز" بأنه يمكن تأجيل تلك الرحلة ولكن "ايج" عرضت أن تذهب مع سير " تشارلز" إلى جيلنج " بينمايذهب "بوارو" و"ساترزويت " إلى" يوركشاير " ، وعندما عرض سير " تشارلز" أن يتولى مهمة مسز "راشبريدجر " باعتبار أنه مهد قبل ذلك بذهابه إلى المصحة ، قالت " ايج" إنه اختلق سلسلة من الأكاذيب ومن الأفضل أن يركز على زيارة أم مس "ميلراي" في "جيلنج" لأن السيدة سوف تفتح قلبها له أكثر من أي إنسان آخر باعتباره صاحب العمل الذي تعمل ابنتها عنده ، ووافقها سير"تشارلز" على ذلك ..كما كان ذلك رأي "بوارو" الذي قال إن المعلومات التي سيحصلون عليها من مسز "ميلراي" أهم من تلك التي يمكن الحصول عليها من مسز "راشبريدجر ، وتم الاتفاق على أن تسير الأمور على هذا النحو ، استقلت " ايج" مع سير " تشارلز" سيارته في ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي وبدأت رحلتهما إلى "جيلنج" التي وصلاها قرب الظهر ، وكانت "جيلنج" قرية صغيرة فيها كنيسة قديمة و"أبرشية" وبعض المحال التجارية الصغيرة وصف من الأكواخ ، وبضعة بيوت حديثة بالاضافة إلى الوادي الأخضر الجميل ..وكانت مسز "ميلراي" تعيش في بيت صغير على الجانب الآخر من موقع الكنيسة ، وقالت " ايج" :

– هل تعرف مس " ميلراي" أنك ذاهب لمقابلة أمها ؟

- أوه .. طبعا .. لقد أرسلت لها خطابا لتستعد لمقابلتنا .
- هل تعتقد أن ذلك كان صوابا ؟
- لماذا يا عزيزتي تسألين هذا السؤال ؟
-لا أدري ..

اتضح أن الأم مختلفة تماما عن ابنتها فعلى حين تبدو مس " ميلراي " خشنة الطباع تبدو أمها غاية في الرقة .. كانت الأم جالسة في مقعد ذي عجلات بجوار النافذة لكي تتطلع من خلالها إلى العالم الخارجي وكانت تبدو منشرحة الصدر لهذه الزيارة ، وقالت :

- هذه لفتة طيبة من جانبك يا سير " تشارلز " .. لقد سمعت عنك الشيء الكثير من ابنتي " فيوليت " (وسمعا هذا الاسم لأول مرة) لاتدري كم هي معجبة بك .. هي سعيدة لعملها معك طوال هذه السنين .. تفضلا بالجلوس .. معذرة لأنني لا أستطيع الوقوف فقد توقفت أطرافي عن الحركة منذ بضع سنوات .. هذه إرادة الله وأنا راضية بحكمه .. قال سير " تشارلز " :

- أعتقد أنك سمعت يا مسز " ميلراي " عن مأساة وفاة مستر "بابنجتون" الذي كان قسا لسنوات طويلة في " جيلنج " ؟

- نعم .. قرأت كل ماكتب عن استخراج الجثة من القبر .. لا أتصور إنسانا يقدم على قتل الرجل المسالم .. كان رجلا لطيفا يحبه الجميع .. كذلك زوجته وأطفالهما .. قال سير " تشارلز " :

- إنها مأساة كبرى .. لقد كدنا نيأس .. لهذا قصدناك لعلك تستطيعين معونتنا ..
- أنا ؟ ولكنني لم أر أسرة " بابنجتون " منذ خمسة عشر عاما .
- أعرف هذا .. ولكن من رأينا أن شيئا ربما حدث في الماضي يمكن أن يلقي الضوء على الغموض الذي يحيط بالمأساة

-لا أظن ذلك .. كانا يعيشان حياة هادئة في فقر شديد مع وجود كل هذا العدد من الأولاد .. حاولت مسز " ميلراي " أن تتذكر شيئا ولكن

ذكرياتها لم تجد شيئا وعرض عليها سير "تشارلز" نسخا مكبرة من صور مستر ومسز "داكريس" في فترة شبابهما ، وكذا للمس "ويلز" واستعرضت مسز" ميلراي "الصور ولم تتعرف على أحد ، وعندئذ سألها سير "تشارلز" عما إذا كانت تعرف سيدة تدعى " راشبريدجر" وأجابت بالنفي

واضطر سير " تشارلز" " وايج" إلى الانصراف في النهاية ، وقررا تناول غداء خفيف في مطعم القرية الصغير ، وكانت السيدة التي تقوم بالخدمة ثرثارة تحب الحديث ، وقالت إنها قرأت ماكتب في الصحف عن وفاة المستر " بابنجتون" وأخبار استخراج الجثة من القبر ، وقالت إنها كانت طفلة عندما كان " بابنجتون" قسا في القرية ، ولم تستطع بدورها أن تزودهما بمعلومات تفيد الهدف الذي جاءا من أجله ، وذهبا بعد الغداء إلى الكنيسة واطلعا على سجلات المواليد والزواج والوفيات ومرة ثانية لم يعثرا على شيء مفيد .. خرجا بعد ذلك إلى المدافن وأخذا يقرآن أسماء الموتى المسجلة على شواهد القبور ، وطالعتهما أسماء غريبة مثل " سافبينيز"وماري ستكليات " وقال" تشارلز" ضاحكا :

- ليس بينهم اسم أشد غرابة من اسمي .. لا أقصد " كارترهوايت " فهذا هو الاسم الفني الذي اخترته كممثل .. وانما أعني اسم الأسرة الحقيقي .. ألحت عليه " ايج" أن يخبرها بذلك الاسم ، وقال بعد إلحاح :

- أيتها الطفلة الحبيبة ..
-لست طفلة ..
- ألست طفلة ؟ إنني أتعجب ! همست " ايج" بصوت ناعم : أرجوأن تخبرني .. قال سير" تشارلز " أخيرا : كان اسم أبي "ماج" ضحكت " ايج" وهي تقول :
- إنها كارثة أن تمشي في المجتمع وأنت تحمل اسم "ماج"
- فكرت أن أقف على المسرح باسم " لوبفيك كاستيجلون " ثم استقر

رأيي على " تشارلز كارترهوايت ".

– هل اسمك الحقيق " تشارلز " ؟

– نعم .. لماذا لا تنادينني " تشارلز" غير مصحوب بلقب سير ؟

– ربما فعلت .

– لقد فعلت ذلك بالأمس عندما ظننت أنني مت .. " ايج". مارأيك أن ننسى كل شيء عن هذه الجريمة التي تبدو الآن خيالية .. سبق لي أن أمطت اللثام عن بعض الجرائم في الماضي ولكن لماذا لا أنجح في هذه القضية؟ لقد مثلت بنجاح على خشبة المسرح أدوارا كثيرة للعاشق ، لماذا لاأستطيع أن أحقق ذلك على مسرح الحياة ؟ يجب أن أعرف .. هل تحبينني أم تحبين " أوليفر ماندرز " ؟ ظننت بالأمس أنك تحبينني .

– كان ظنك صحيحا ، صاح سير "تشارلز" بسرور :

– أنت أيها الملاك الجميل !

– " تشارلز" .. "تشارلز" .. لا يليق أن تقبلني في ساحة الكنيسة ..

– سوف أقبلك في أي مكان أشاء .. قالت " ايج" أثناء رحلة العودة إلى "لندن" إنهما لم يكتشفا شيئا ، وقال سير "تشارلز" باندفاع :

– هراء .. لقد اكتشفنا الشيء الوحيد الجديد بالاكتشاف .. بماذا يفيدني موت رجل دين أو طبيب ؟ أنت الشيء الوحيد الذي يهمني .. أنت تعرفين يا عزيزتي أنني أكبرك بثلاثين عاما .. هل أنت واثقة أن ذلك لايهم؟ قرصته في ذراعه برقة وهي تقول :

– لا تكن أحمق .. ترى هل توصل الآخرون إلى شيء؟ قال سير "تشارلز" إنه يرحب بنجاحهم وسألته لماذا تخلى عن اهتمامه وكان متحمسا لكشف غموض القضية ، وقال إنه ترك تلك المهمة لصاحب الشارب الكث فذلك عمله ولابد له أن يدافع عن "راشبريدجر" المسكينة صاح " بوارو" بدهشة :

– ماتت ؟ هذا يفسر الأمر.. ولكن كيف ماتت ؟

– الأمر غامض .. تلقت صندوق شيكولاتة بالبريد .. أكلت قطعة ويبدو

أن طعمها كان فظيعا ولكن المفاجأة جعلتها تبتلعها .. لايجب الانسان عادة أن يبصق ما يدخل فمه . قال "بوارو" :

–نعم ..نعم ..خاصة إذا تسرب إلى الحلق سائل لان الأمر يصبح صعبا.

قالت رئيسة الممرضات إنها نادت الممرضة ولكنها ماتت بعد دقيقتين ، وأخطر الطبيب رجال الشرطة الذين فحصوا الشيكولاتة وقرروا أن السم الذي دس داخل قطع الشيكولاته هو النيكوتين . قال "بوارو":

– النيكوتين مرة أخرى ؟ يالها من ضربة . يالها من ضربة جريئة ! قال " ساترزويت" بمرارة :

– وصلنا متأخرين .. لن نعرف الآن ماكانت تريد أن تقوله لنا .. مالم – مالم تكن قد أفضت بشيء إلى إنسان ما .. هزت الممرضة رأسها ، وعرض عليها " بوارو" أن تسأل الممرضات ، واستدعت اثنتين من الممرضات كانتا تقومان بخدمة مسز " راشبريدجر" ولكن إحداهما لم تستطع أن تدلي بمعلومات مفيدة . لم تتحدث مسز "راشبريدجر" عن موت سير "بارثلوميو" قط ، ولم تسمع إحداهما عن البرقية التي أرسلتها بناء على طلب "بوارو" ، سمحت لهما كبيرة الممرضات بالذهاب إلى غرفة السيدة ، والتقيا " بـ كروسفيلد" مفتش الشرطة وقدم له " ساترزويت" مسيو " بوارو" . ألقى الرجلان نظرة على وجه السيدة الميتة ، كانت في حوالى الأربعين ، سوداء الشعر شاحبة الوجه لا تزال على وجهها علامات الألم .. نظر "ساترزويت " إلى وجه البلجيكي ورأى عليه تعبيرا غريبا جعل "ساترزويت " يرتجف وقال :

– علم أحد الأشخاص أنها على وشك الكلام فقتلها ... قتلت حتى لاتتكلم . أومأ " بوارو" برأسه مؤمنا وقال :

– أو لعلها قتلت بسبب مالا تعرفه .. ولكن فلنسرع الان .. أمامناعمل كثير لنمنع وفيات أخرى .. يجب أن نسرع . سأله " ساترزويت " بدهشة

عما إذا كان ذلك يتفق والفكرة التي رسخت في ذهنه ، وقال " بوارو" :

– نعم .. ولكنني أدرك الآن أن المجرم أشد خطورة مما كنت أتصور ويجب أن نكون على حذر ..

رافقهما " كروسفيلد " إلى خارج الحجرة وسمع عن البرقية التي تسلموها ، وعند التحري عن كيفية إرسالها من مكتب البريد اتضح أن الذي قام بتسليمها صبي صغير ، وبعد تناول الغداء بصحبة المفتش وإرسال برقية لسير " تشارلز" استمرت التحريات ..

تم العثور على الصبي في السادسة مساء ، وقال إنه تسلم البرقية من رجل يلبس ثيابا مهلهلة وأخبره الرجل أن سيدة وحيدة في البيت الذي يطل على الحديقة العامة طلبت منه إرسال البرقية مقابل جنيهين وخشي الرجل أن يورطه ذلك في المشاكل وعهد إلى الصبي القيام بهذه المهمة في مقابل ستة بنسات .. واتضح أنه من العبث البحث عن الرجل ، وعندما أدرك الرجلان أنهما لن يتوصلا إلى شيء قررا العودة إلى " لندن" وصلا قرب منتصف الليل ، وكانت "ايج" قد عادت الى بيتها واستقبلهما سير "تشارلز"، وتداول ثلاثتهم في الموقف ، وقال " بوارو" :

– شيء واحد يحل هذه القضية ..خلايا المخ .. من العبث البحث عن هذا الرجل .. قال سير " تشارلز" في شيء من السخرية :

– وماذا تنتظر منا أن نفعل إذن؟

– أريد أن أفكر .. امنحوني أربعا وعشرين ساعة أفكر في الأمر .

ابتسم سير " تشارلز" ابتسامة خفيفة وقال :

– وهل سيهديك التفكير إلى ماكانت تلك السيدة تنوي أن تقوله؟

– أعتقد هذا ..

– يبدو ذلك شبه مستحيل .. على أي حال لك أن تعالج الموقف بالطريقة التي تحلو لك . أعترف لك أنني فشلت .. وعلى أي حال أمامي سمكة أخرى أصطادها . لعله كان يرجو أن يسأله أحد عما يقصده ولكن الرجلين خيبا ظنه ، وظل " بوارو" مستغرقا في أفكاره ، وقال

الممثل :

– حسن .. أنا ذاهب .. ولكنني قلق على مس " ويلز" .

– ماذا بشأنها ؟

– لقد اختفت ! .

– اختفت ؟ كيف ؟

– لا أحد يعرف .. كما ذكرت لكما من قبل أنا مقتنع أن تلك السيدة تعرف شيئا لا تريد أن تصارحنا به .. ذهبت إلى منزلها في حوالي التاسعة والنصف وسألت عنها فعلمت أنها غادرت البيت في الصباح وأنهاذهبت إ لى العاصمة لتقضي اليوم .. وتلقى أهلها برقية في المساء تقول فيها إنها لن تعود قبل يوم أو يومين ولا داعي للقلق .

– وهل كان أهلها قلقين ؟

– أعتقد ذلك .. لأنها لم تأخذ معها أي ملابس . همس " بوارو" قائلا بدهشة :

– شيء غريب ، لقد حذرتها كما حذرت الجميع .. على أية حال لدي أفكاري وأفضل عدم مناقشتها في اللحظة الراهنة .

– " ايليس" الخادم أولا .. عجيب ألا تمسك به الشرطة إلى الآن . قال " بوارو" :

– لم يبحثوا عن جثته في المكان المناسب .

– إذن فأنت توافق "ايج" على أنه قتل ؟

– لن يظهر "إيليس "على قيد الحياة مرة ثانية . قال سير" تشارلز" بجزع:

– يا إلهي ! هذاكابوس .. يبدو الأمر برمته غير قابل للتصديق قال " بوارو" بهدوء :

– كلا كلا .. على العكس الأمر منطقي وواضح .. حملق سير "تشارلز" في وجهه قائلا بدهشة :

–أنت تقول ذلك ؟

– بالتأكيد ... أنا أملك عقلا منظما وعندما سأله سير" تشارلز" عن رأي

"بوارو" في عقله قال :

– لك عقلية الممثل يا سير " تشارلز" .. العقل الخلاق الذي يرى دائما القيم الدرامية .. أما مستر " ساترزويت " فله عقلية متفرج المسرح الذي يلاحظ الشخصيات ولديه الإحساس بالجو المحيط به .. أما أنا فأرى الحقائق وحدها دون ديكورات أو إضاءة .

استأذن " بوارو"للانصراف وقال سير " تشارلز" بعد خروجه :

– ذلك الرجل شديد الثقة بنفسه . وقال له " ساترزويت " :

– ما الذي كنت تقصده بقولك إن أمامك سمكة أخرى تصطادها ؟

قال سير " تشارلز" بعد تردد :

–أ .. حسن .. أ.. أنا و" ايج" .

–أنا سعيد لسماع ذلك .. لك خالص تهانئي .

– بالطبع أنا أكبر منها بسنوات كثيرة .

– هي لا تفكر في فارق السن .. وأعتقد أن الحكم الأخير لها في هذا الشأن – هذا لطف منك يا "ساترزويت" .. كنت أعتقد أنها مغرمة بـ"ماندرز " الشاب .

– إنني مندهش لتفكيرك على هذا النحو ..

– ٧ –

لم يحصل " بوارو" على مهلة الأربع والعشرين ساعة التي طلبها ففي الساعة الحادية عشرة والثلث من صباح اليوم التالي جاءت إليه "ايج" وفوجئت بالمخبر الخاص الكبير يبني بيوتا من أوراق الكرتون ، ونظرت إليه الفتاة بازدراء ، وقال "بوارو" مدافعا عن نفسه :

– لم أرتد إلى الطفولة كما تتخيلين يا مدموازيل .. فقد وجدت بناء البيوت من ورق الكرتون عملية تشحذ الذهن وهي عادة قديمة ..

أعادت " ايج" النظر إلى البيوت وضحكت وأخبرته أن أوراق اللعب التي اشتراها ليستعين بها في اللعب تسمى العائلة السعيدة ، وأمسكت بعض الأوراق في يدها وهي تقول بفرح :

– السيد "بان " ابن الخباز ، أحببته دائما .. وهذه مسز "ماج " زوجة بائع اللبن ..أوه يا إلهي .. أعتقد أنني مسز "ماج" .

– لماذا تختارين أن تكون تلك الصورة المضحكة هي أنت يا مدموازيل ؟

– بسبب الاسم . ضحكت " ايج" عاليا و"بوارو" ينظر إليها بدهشة ، وعندما انتهت من ضحكها قال :

– آه .. اذن فقد كان هذا ما يعنيه سير " تشارلز" في الليلة الماضية .. لقد اندهشت .. " ماج" .. آه .. يقول أحدهم بلغة الحوار الدارجة للآخر أنت : " ماج" ايعني مغفل ! طبيعي أن يغير الإنسان اسمه .. لن تحبي أن يناديك أحد باسم مسز " ماج" ؟ أليس كذلك ؟

ضحكت " ايج" مرة أخرى وقالت :

– حسن .. أرجو أن تتمنى لي السعادة .

– إننى أتمنى لك السعادة يا مدموازيل" .. ليس سعادة الشباب فقط .. وإنما سعادة المستقبل الدائم التي تقام على أساس راسخ .. أساس من الصخر . – سوف أخبر " تشارلز" أنك تسمينني " صخرة" .. ولنعد الآن إلى الموضوع الذي جئتك من أجلة .. إنني كنت أفكرفي قلق على تلك القصاصة التي سقطت من مفكرة "أوليفر" .تلك التي وقعت أمام مس " ويلز" والتقطتها وناولته إياها ، إنني أعتقد أن "أوليفر" إنما يقول كذبة عندما يقرر أنه لا يذكر المناسبة التي وضعها في المفكرة ، أو أنها لم تكن موجودة أصلا .. لقد أسقط قصاصة غريبة وزعمت تلك المرأة أنها تتعلق بـ " النيكوتين " .

– ولماذا تفعل شيئا كهذا يا مدموازيل ؟

– لأنها كانت تريد أن تتخلص منها وادعت أنها لـ " أوليفر" .

– تعنين أنها القاتلة .

– نعم .

– وما دافعها ؟

– لا فائدة من توجيه هذا السؤال لي .. كل ما أستطيع أن أقترحه

أنها مجنونة .. عادة ما يكون الأشخاص الاذكياء مجانين .. لا أستطيع أن أرى سببا آخر .. إنني لا أستطيع أن أفكر في أي دافع .

– هذه هي المشكلة .. لم يكن ينبغي أن أسألك أن تخمني الدافع . ولكنني كنت أسأل نفسي دون توقف : ما الدافع لقتل مستر " بابنجتون" وعندما أستطيع الإجابة على هذا السؤال أكون قد وجدت حل اللغز

–لاتعتقد أنه مجرد الجنون ؟

– كلا . ليس الجنون بالمعنى الذي تقصدينه.. هناك العقل ،، يجب أن أبحث عن هذا الإدراك العاقل .

–حسن .. أتركك الآن .. آسفة لإزعاجك ولكن الفكرة خطرت ببالي .. سوف أذهب مع سير " تشارلز" لحضور بروفة المسرحية التي كتبتها المس " ويلز " لـ" أنجيلا ساتكليف " .. سوف تعرض العرض الأول غدا .

قال " بوارو" فجأة :

– يا إلهي !

– ماذا ؟ ما الذي حدث ؟

– لقد حدث شيء بالفعل .. فكرة رائعة .. أوه .. لقد ظللت أعمى – أعمى.

حملقت " ايج" إلى وجهه بدهشة ، وتمالك " بوارو" أعصابه وربت على كتف " ايج" قائلا :

– تعتقد ين أنني مجنون .. ليس بالمرة .. لقد سمعت ما قلته .. أنت ذاهبة لمشاهدة البر وفة الأخيرة لمسرحية مس " ويلز " وسوف تمثل مس "ساتكليف " في المسرحية .. اذهبي ولا تلقي بالا لما قلته لك الآن . بعد خروج " ايج" ، أخذ " بوارو" يذرع الغرفة جيئة وذهابا وقد لمعت عيناه كعيني القطة وهمس لنفسه قائلا :

– ولكن نعم .. هذا يفسر كل شيء .. دافع غريب – دافع بالغ الغرابة .. لم أفكر في مثل هذا الدافع من قبل ومع هذا فهو معقول .اتجه نحو المنضدة التي كان يبني فوقها البيوت من ورق الكرتون وهو يقول:

الأسرة السعيدة .. لم أعد في حاجة إليها .. لقد عثرت على حل اللغز ولم يبق أمامي سوى التحرك .

استقل سيارة أجرة إلى بيت سير " تشارلز" ولم يجد البواب وفتح الباب ودخل إلى الطابق الأرضي ، وبدأ يرتقي السلم إلى الطابق الأول عندما لمح باب غرفة سير "تشارلز" يفتح ومس "ميلراي " تخرج منه ، وفزعت مس "ميلرا ي " عندما رأت "بوارو" وقالت بانفعال :

– أنت ! ابتسم "بوارو " قائلا :

– نعم .. إنه أنا .. أنا أخيرا ..

– أخشى أنك لن تجد سير "تشارلز" .. لقد ذهب إلى المسرح مع مس "ليتون جور "

– ليس سير " تشارلز" هو من أبحث عنه .. إنها العصا التي نسيتها عندما كنت هنا من قبل .

– أوه.. حسنا .. لو ضربت الجرس سوف تبحث لك الخادمة "تمبل" عنها .. أنا آسفة لعدم استطاعتي الانتظار لأنني أريد أن ألحق القطار .. أنا ذاهبة الى أمي .

– أنا أقدر موقفك .. لا أريد أن أعطلك يا مدموازيل .

أفسح لها الطريق وهبطت مس " ميلراي " السلم بسرعة وهي تحمل حقيبة أوراق صغيرة ، وعندما غادرت البيت كان " بوارو" قد نسي الغرض الذي جاء من أجله .وبدلا من الصعود هبط السلم مرة ثانية ، وعندما وصل بوارو لأول باب كانت مس " ميلراى " قد استقلت سيارة أجرة .

خرج " بوارو" ببطء ، ونادى أول سيارة أجرة رآها وطلب من السائق أن يتبع السيارة الأخرى. ولم يندهش " بوارو" عندما وجد السيارة تتوقف أمام محطة بادنجتون " للذهاب إلى " كنت " حجز "بوارو" تذكرة درجة أولى للسفر إلى " لوماوث" ورفع ياقة المعطف ليغطي وجهه واستقل القطار ، وصلا إلى " لوماوث " حوالي الساعة الخامسة مع أول خيوط الظلام ، وأبطأ " بوارو" حتى سمع حارس الباب يحيي

مس " ميلراي " قائلا :

-حسن .. لم نكن نتوقع حضورك .. هل سيأتي سير " تشارلز" أيضا ؟ وأجابت المس " ميلراي" قائلة :

- لم يكن حضوري متوقعا .. وسوف أعود صباح الغد .. جئت لمجرد البحث عن بعض الأشياء .. لاأريد عربة .. شكرا لك .. سوف أسلك الممر الصخري . ازدادت كثافة الظلام ،، وكان "بوارو" حريصا على أن يتأخر عنها مسافة كافية وكان يسير بخفة القط ، وعندما وصلت إلى بيت "عش الغراب" أخرجت من حقيبتها مفتاحا فتحت به الباب الجانبي وتركته مواربا ، وعادت إلى الظهوربعد دقيقتين وهي تحمل مفتاحا صدئا وكشافا كهربائيا في يدها ، تراجع " بوارو" إلى مبنى حجري قديم يشبه القلعة، ووضعت مس " ميلراي " المفتاح الصدىء في فتحة الباب الخشبي الكبير .. أحدث المفتاح صريراً وفتح الباب على مصراعيه .. ودخلت مس "ميلراى "حاملة في يدها المصباح الكشاف . سار" بوارو" نحو الباب بخطى سريعة ودخل بدوره دون أن يسمع لوقع خطواته صوت ، ورأى " بوارو" على ضوء المصباح الكشاف مجموعة من الأواني الزجاجية ومصباح " بنز" وبعض الأجهزة .. رفعت مس "ميلراي " سيخا من الحديد لتحطم به الأجهزة المصنوعة من الزجاج ، ولكن يدا قبضت على يدها بقوة .. وصرخت مس " ميلراي" للمفاجأة .

استدارت لتلتقي نظراتها بنظرات " بوارو" النفاذة وقال لها " بوارو" بحزم :

- لا تستطيعين أن تفعلي هذا .. لأن ما تريدين تحطيمه هو دليل الاتهام.

- ٨ -

جلس " بوارو" في المقعد الكبير ذي المساند بعد أن أطفأ أنوار الحجرة تاركا نور أباجورة وردية تغمره بنورها ، وكان النوريغمره وحده بينما يجلس الثلاثة الآخرون - سير " تشارلز" و" ايج ليتون جور " و"ساترزويت " - في الظلام . كان صوت " بوارو" حالماكأنما يحدث نفسه

أكثر مما يوجه حديثه لستمعيه :

- بناء الجريمة هو عمل المخبرالخاص .. ولكي تبني الجريمة يجب أن تضع الحقيقة فوق الأخرى كما تفعل عند بناء بيت من ورق الكرتون .. إذا لم يستقم البناء .. لو لم تتوازن قطعة مع الأخرى ، يجب عليك أن تعيد البناء من جديد وإلا تهاوي المبنى . والآن .. أعترف أن سير" تشارلز" كان على حق وأنني كنت مخطئا .. كنت مخطئا . لأنني كنت أنظر إلى الجريمة من زاوية مصطنعة تماما .. لم أنتبه إلى الزاوية الصحيحة الا منذ أربع وعشرين ساعة فقط - ودعوني أقول لكم إنه من تلك الزاوية للرؤية كان قتل" ستيفن " بابنجتون"معقولا وممكنا . وإن ارتكاب هذه الجرائم كان لمصلحة ذلك الشخص المعين والآ ن يجب أن أقول بلا حرج إن الشيء الرئيسي الذي سبب لي القلق هو حقيقة أن موت سير " بارثلوميو سترينج " جاء بعد موت "ستيفن بابنجتون " وعندما ننظر إلى تلك الجرائم الثلاث دون تمييز بين الوقت والزمان ، فإن الاحتمالات تشيرإلى أن قتل سير " بارثلوميوسترينج" هو ما يمكن أن نسميه الجريمة الوسطى أو المركزية ، وأن الجريمتين الأخريين ثانويتان .. أو بتعبير آخر وقعتا بسبب الصلة القائمة بين شخصياتهما وسير " بارثلوميو" . على أي حال - كما سبق أن أشرت من قبل لا يستطيع الإنسان أن ينظر إلى الجريمة بالصورة التي كان يريد لها أن تحدث.. قتل "ستيفن بابنجتون " أولا ثم سير "بارثلوميو سترينج " في وقت لاحق ، ومن ثم ظهر كما لو أن الجريمة الثانية نشأت بالضرورة من الجريمة الأولى ، ومن ثم يتعين عليناأن نحقق في الجريمة الأولى حتى نتوصل إلى حل القضية كلها .

ولقد تمسكت في الواقع بنظرية الاحتمال وفكرت فى احتمال وقوع خطأما ، هل كان المقصود قتل سير " بارثلوميو سترينج" في المرة الأولى وجاء موت " ستيفن بابنجتو ن" على سبيل الخطأ ؟ واضطررت إلى التخلي عن هذه الفكرة ، لأن أي إنسان يعرف سير "بارثلوميوسترينج" معرفة وثيقة يعلم كراهيته لعادة شرب الكوكتيل

اقتراح آخر : هل حدث قتل "ستيفن بابنجتون" بالسم على سبيل الخطأ حيث كان المقصود شخصا آخر من الموجودين في الحفل ؟ لم أستطع أن أعثر على أي دليل يؤيد مثل هذه الفكرة . لهذا اضطررت إلى التسليم بأن موت "ستيفن بابنجتون" كان مقصودا - يجب أن يبدأ الإنسان تحرياته بأكثر النظريات بساطة ووضوحا .. مع التسليم بأن "ستيفن بابنجتون" شرب كأسا مسمومة من الكوكتيل ، من الشخص الذي تتوافر له الفرصة لدس السم ؟ بدا لي من النظرة الأولى أن الشخصين الوحيدين اللذين يستطيعان ذلك هما اللذان شاركا في تقديم الكئوس للمدعوين وهما سير "تشارلز كارترهوايت" نفسه أو الخادمة "تمبل" ، إلا أنه مع افتراض أن واحدا منهما هو الذي دس السم في الكأس ، فإن أيهما ليست لديه فرصة توجيه الكأس المسمومة" لـ "بابنجتون" بالذات .. كانت الفرصة تتاح للخادمة لو أن الكأس المسمومة تبقى كآخر كأس على الصينية ورغم عدم سهولة ذلك إلا أنه كان ممكنا . وكان سير "تشارلز" باستطاعته أن يفعل ذلك لو أنه حمل الكأس المسمومة وقدمها بنفسه للقس، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ، وبدا كما لو أن المصادفة والمصادفة وحدها هي التي وجهت الكأس ليد "بابنجتون"

تولى سير "تشارلز" والخادمة "تمبل" تقديم كئوس الشراب هل كان واحد منهما موجودا في "ميلفورد أبي" ؟ الجواب بالنفي من الذي كانت لديه الفرصة لتسميم كأس سير "بارثلوميو" ؟ الخادم الهارب "إيليس" ومساعدته الخادمة ، ولكن يظل الاحتمال قائما أن واحدا من الضيوف كان باستطاعته أن يفعل ذلك ..

عندما انضممت إليكم في بيت "عش الغراب" كانت لديكم قائمة تتضمن أسماء الأشخاص الذين كانوا موجودين في "عش الغراب" وفي "ميلفورد أبي" ، وأستطيع أن أقول الآن إن الأسماء الأربعة التي كانت تتصدر القائمة - كابتن ومسز "داكريس" ، مس "ساتكليف" ومس "ويلز" - استبعدتها في الحال . من المستحيل أن يكون أي واحد من هؤلاء الأشخاص

الأربعة قد عرف مسبقا أنه سوف يقابل "ستيفن بابنجتون" على العشاء ويبين استخدام النيكوتين أنها خطة مدبرة بعناية ، وليس عملية يمكن أن تخطر على البال من وحي اللحظة. وكانت هناك ثلاثة أسماء أخرى ليدي "ماري ليتون جور" وميس "ليتون جور" ومستر "أوليفر ماندرز" ورغم أنه ليس من المحتمل أن يكون واحد منهم هو الذي د س السم الا أنه ممكن ، لأنهم من المجتمع المحلي ، وربما كان لدى أحدهم الدافع للتخلص من "ستيفن بابنجتون" ، واختار الحفل الذي يقام في تلك الليلة ليضع خطته موضع التنفيذ ومن الناحية الأخرى ، لم أستطع أن أعثر على أي دليل يثبت أن أي واحد منهم قد فعل شيئا كهذا . وأعتقد أن تفكير مستر "ساترزويت" تمشى معي في نفس الاتجاه وركز شكوكه في مستر "أوليفر ماندرز" ، وأستطيع أن أقول أن "ماندرز" الشاب كان موضع الكثير من الريب والشكوك ، فقد أظهر في "عش الغراب" تلك الليلة قدرا كبيرا من توتر الأعصاب ، وكانت له نظرة مشوهة بالنسبة للحياة تبعا لمتاعبه الشخصية وعنده مركب نقص شديد مما يعتبر سببا لارتكاب الجريمة ، وسبق أن تشاحن مع مستر "ستيفن بابنجتون" ثم كانت تلك الظروف الغريبة التي ظهر بها في "ميلفورد أبي" ، وبعد ذلك سمعنا منه تلك القصة الغريبة عن الخطاب الذي تلقاه من سير "بارثلوميو سترينج" ، وما قيل عن أن مس "ويلز" رأت قصاصة من إحدى الصحف في مفكرته حول سم النيكوتين .. هكذا يكون مستر "ماندرز" هو الشخص الذي ينبغي أن يوضع على رأس قائمة المشتبه فيهم . ولكن يا أصدقائي ، داخلني إحساس غريب ، ظهر لي واضحا وجليا أن الشخص الذي ارتكب هذه الجرائم لابد أن يكون شخصا حضر المناسبتين أو بمعنى آخر ، شخص من بين السبعة الذين تتضمنهم القائمة ، ولكن إحساسا راودني أن هذا الدليل الواضح مدبر ، وأحسست أنني لا أنظر إلى الحقيقة وإنما لصورة مرسومة بإتقان ، و يدرك أي مجرم حقيقي ذكي أن أي اسم تتضمنه القائمة لابد أن يكون موضع الشبهة ومن ثم يلجأ هو

- أو هي - إلى إثبات عدم وجوده في مكان الجريمة .

وبتعبير آخر .. كان قاتل " ستيفن بابنجتون " وسير " بارثلوميو سترينج" موجودا في كلتا المناسبتين - ولكنه لم يكن ظاهرا بهذه الصورة الواضحة .. من الذي كان موجودا في المناسبة الأولى وغاب عن الثانية ؟ سير "تشارلز" كارترهوايت "مستر" ساترزويت "، مس " ميلراي" ومسز " بابنجتون".. هل كان باستطاعة واحد من هؤلاء الاربعة أن يظهر في المناسبة الثانية بصورة غير صورته الحقيقية ؟ سير " تشارلز" ومستر" ساترزويت " كانا في جنوب " فرنسا " ، وكانت مس " ميلراي" في" لندن"، ومسز "بابنجتون" في" لوماوث" .. هل كانت مس" ميلراي" تستطيع أن تظهر في" ميلفورد آبي" دون أن يتعرف عليها لأحد ؟ للمس ميلراي ملامح متميزة لا يمكن لأحد أن يخطئها أو ينساها حتى لو تنكرت .. هل كان يمكن لمستر" ساترزويت " أوسير" تشارلز" أن يظهر في" ميلفورد آبي" دون أن يتعرف عليه أحد ؟ يمكن بالنسبة لمستر "ساترزويت " ، ولكن الأمر يختلف تماما بالنسبة لسير "تشارلز" .. فهو ممثل اعتاد أن يلعب أدوارا مختلفة ، ولكن أي دور كان يمكن أن يلعبه ؟

هنا أصل إلى الخادم " إيليس " .."إيليس" شخصية يحيط بها الغموض ، شخص يظهر قبل وقوع الحادث بأسبوعين ثم يختفي في أعقابه بنجاح كامل .. لماذا حقق" إيليس" هذا النجاح ؟ لأن" إيليس" في الواقع شخصية لا وجود لها ..." إيليس" لم يكن حقيقيا .. ولكن هل كان ذلك ممكنا ؟ كان جميع الخدم في " ميلفورد آبي" يعرفون سير "تشارلز" كارترهوايت " ، وكان سير "بارثلوميو سترينج" صد يقاحميما له .. كان انتحال شخصية الخادم لا يمثل أي مخاطرة فيما لو كان الخدم اكتشفوا ذلك ، لأنه إذا مضى أسبوعان ولم يكتشف أحد شيئا يكون منتحل شخصية الخادم في أمان تام .. تذكرت كل الملاحظات التي أبداها الخدم عن" إيليس " ، كان سيدا مهذبا ويبدو أنه اعتاد حياة البيوت الراقية

وكان يعرف عددا من الفضائح التي تجري في تلك البيوت .. كان ذلك شيئا بالغ السهولة ، ولكنني استمعت إلى تقرير له مغزاه من الخادمة " أليس "، فقد قالت :" كان يرتب العمل بصورة تختلف عن أي خادم رأيته من قبل" عندما قيلت لي تلك الملاحظة تأيدت النظرية التي افترضتها .ولكن الأمر يختلف مع سير" بارثلوميو" فمن الصعب أن ينجح الممثل في خداعه وهو يعرف الشيء الكثير عن التمثيل .. هل لدينا دليل على صحة هذه النظر ية ؟ نعم .. أبدى مستر " ساترزويت" ملاحظة ذكية في البداية معلقا على قول سير "بارثلوميو" للخادم " إيليس" ممازحا - على غير عادة الطبيب مع الخدم - " أنت خادم من الدرجة الأولى ، أليس كذلك يا " إيليس "؟ ملاحظة واعية لو أن الخادم كان سير " تشارلز". قالها سير " بارثلوميو" على سبيل الفكاهة .. وهذا هو لاشك ما حدث ،. وكانت تلك هي المفاجأة التي ينوي سير " بارثلوميو" أن يعلنها ..لاحظوا أيضا أن الفرصة كانت لا تزال قائمة للتراجع ، فلو أن واحدا من الحاضرين تنبه في بداية الحفل للخادم المتنكر لما كان في ذلك ضرر حيث إن شيئا لم يحدث ، ويمكن قبول الأمرعلى أنه مزاح ، ولكن أحدا لم يتنبه لحقيقة الخادم الذي يعرج قليلا في مشيته وسوالفه والشامة على معصمه .وهي كلها علامات ظاهرة كان ينبغي أن يفطن إليها الكثير، ولكن قوة الملاحظة ضعيفة لدى أغلب الناس .كان منتحل شخصية الخادم يريد أن يزود المشاهدين بعلامة مميزة لأوصاف الخادم ومضى أسبوعان دون أن يلاحظ أحد شيئا من هذه العلامات ، وكانت مس "ويلز" هي الشخص الوحيد الذي لاحظها، و سوف نصل الآن إلى موقف مس " ويلز" ..

ما الذي حدث بعد ذلك ؟ مات سير " بارثلوميو" .. لم يقل أحد في هذه المرة أن الوفاة طبيعية .. جاء رجال الشرطة وسألوا " إيليس " وبقية الموجودين ، وفي وقت متأخر من تلك الليلة هرب الخادم من الممر السري وعاد إلى شخصيته الحقيقية .وظهر بعد يومين وهو يتنزه في

حدائق " مونت كارلو" على استعداد للتظاهر بالصدمة عندما يسمع أخبار موت صديقه اسمحوا لي أن أقول إن هذا مجرد افتراض .. لم يكن لدي أي دليل ، إلا أن جميع الأحداث التالية أيدت الافتراض .. كان البيت الذي أقمته من أوراق الكرتون مبنيا بطريقة جيدة ماذا بشأن خطابات التهد يدبابتزاز المال التي تم العثور عليها في غرفة "إيليس"؟ ولكن الذي اكتشفها هو سير" تشارلز" نفسه ! وماذا بشأن الخطاب الذي وصل إلى "ماندرز" يطلب فيه سير ، " بارثوميو" من الشاب تدبير حادث للظهور في المكان ؟ حسن .. كان من السهل على سير "تشارلز" أن يفعل ذلك .. لو أن " ماندرز " لم يتخلص بنفسه من الخطاب لفعل سير "تشارلز" ذلك وهو يقوم بدور الخادم .. كما كان من السهل على "إيليس" أن يدس القصاصة الخاصة بالنيكوتين في مفكرة "ماندرز" .

ونصل الآن إلى الضحية الثالثة .. مسز "دي راشبريدجر". متى سمعنا لأول مرة عن مسز" دي راشبريدجر" ؟ بعد اختفاء الخادم "إيليس" مباشرة .. يحول سير " تشارلز" الأنظار إلى تلك السيدة باعتبارها احدى مريضات الطبيب .. ويذهب إلى المصحة ويوجه الأسئلة إلى كبيرة المرضات ..

يجب أن ندرس الآن الدور الذي لعبته مس " ويلز" في هذه الدراما .. مس " ويلز" شخصية غريبة ، فهي واحدة من هؤلاء الناس الذين لايستطيعون فرض تأثيرهم على الجو المحيط بهم . فهي ليست جميلة أو فكهة أوذكية ، ولكنها تتميز بقوة الملاحظة وشيء من الفطنة ، وهي تنتقم من المزايا التي حرمت منها باستخدام قلمها .. تستطيع أن ترسم على الورق الشخصيات باقتدار ، ولا أعرف ما إذا كان الخادم قد رأى من مس " ويلز" شيئا غير عادي ، ولكنني أستطيع أن أقرر أنها الشخص الوحيد بين الحاضرين الذي استطاع أن يلاحظ شيئا .. وقادها فضولها في صباح اليوم التالي لوقوع الجريمة إلى التجسس على الوجه الذي ذكرته الخادمة .. تسللت إلى غرفة " داكريس "، وذهبت إلى

حجرات الخدم على أمل أن تكتشف شيئا ..

كانت الشخص الوحيد الذي سبب بعض القلق لسير " تشارلز" ، لهذا كان حريصا على أن يكون الشخص الذي يتحرى عنها ، وقد طمأنته زيارته لها إلى أنها لاحظت الشامة على معصمه ، ولكن الكارثة وقعت بعد ذلك .. لا أظن أن مس " ويلز" كانت قد أدركت حتى تلك اللحظة الصلة بين "إيليس" وسير " تشارلز كارترهوايت " .. كل ما فكرت فيه وجود تشابه غامض بين "إيليس" وبين إحدى الشخصيات .. ولكنها كانت قوية الملاحظة .. عندما قدم الخادم لها الأطباق في العشاء لاحظت بطريقة آلية – ليس الوجه – ولكن اليد التي تقدم الأطباق .

لم يخطر ببالها أن "إيليس الخادم هو سير "تشارلز" ... ولكن عندما تحدث إليها سير "تشارلز" خطر ببالها فجأة أن "إيليس" هو سير "تشارلز" ! لهذا طلبت منه أن يقدم لها الطبق تمثيلا لما حدث في تلك الليلة ، ولم يكن يهم ما إذا كانت الشامة على المعصم الأيمن أو الأيسر كانت تطلب ذريعة لتدرس فيهااليدين .. أن ترى اليدين في نفس الوضع بالنسبة للخادم .. هكذا توصلت إلى الحقيقة ولكنها كانت امرأة غريبة .. كانت تستمتع بالوصول إلى الحقيقة لمجرد معرفة الحقيقة ، فضلا عن أنها لم تكن واثقة من أن سير " تشارلز" هو الذي قتل صديقه. لقد انتحل شخصية الخادم حقا .. ولكن ذلك لا يفترض بالضرورة أنه القاتل ..

احتفظت مس " ويلز" باكتشافها لنفسها – واستمتعت بذلك .. ولكن سير " تشارلز" كان قلقا ولم يرض عن تلك النظرة الخبيثة التي طالعها في وجهها عندما كان يهم بمغادرة الحجرة .. كانت تعرف شيئا ، ماهو؟ هل كان ذلك يؤثر عليه ؟ لم يكن متأكدا ، ولكنه كان يدرك أنه شيء يتصل بـ "إيليس" الخادم . مستر " ساترزويت" أولا ، ثم مس " ويلز" الآن.. يجب تحويل الانتباه عن هذه النقطة الحيوية . يجب أن ينصرف الانتباه إلى شيء آخر ، وفكر في خطة سهلة وجريئة .

أتصور في يوم حفل الشراب الذي أقمته أن سير " تشارلز" نهض في وقت مبكر من الصباح وذهب إلى " يوركشاير" متنكراً في زي متشرد رث الثياب وأعطى البرقية لصبي صغير ليتولى تسليمها لمكتب البريد ، ثم عاد إلى المدينة في الوقت المناسب ليمثل الدور الذي حددته له في الدراما الصغيرة ، وقد فعل شيئا إضافيا .. أرسل بالبريد طردا يضم علبة شيكولاتة إلى سيدة لم يرها من قبل قط ولا يعرف عنها أي شيء .

أنتم تعرفون ما حدث في تلك الليلة .. تأكدت من حالة القلق التي كان عليها سير "تشارلز" أنه يشك في أن مس "ويلز" لديها بعض الشكوك .. عندما انتهى سير "تشارلز" من تمثيل دور الميت كنت أراقب وجه مس "ويلز" .. رأيت على وجهها علامات الدهشة .. أدركت عندئذ بما لا يدع مجالا للشك أنها ترتاب فى الامر.. إن سير "تشارلز" هو القاتل .. عندما لعب دور الشخص الذي يموت مقتولا بالسم مثل الآخرين فكرت في أن استنتاجاتها السابقة كانت خاطئة.. ولكن إذا كانت مس "ويلز" ترتاب في سير "تشارلز" ، فلا شك أنها تصبح في خطر شديد . فالرجل الذى قتل مرتين يستطيع أن يقتل مرة ثالثة ، وقد أعلنت تحذيري .. اتصلت بمس "ويلز" في وقت لاحق تلك الليلة بالتليفون ، وغادرت بيتها صباح اليوم التالي فجأة بناء على نصيحتي . وكانت منذ تلك اللحظة تنزل في هذا الفندق ، وقد اتضح أنني كنت على حق ، لأن سير " تشارلز" ذهب إلى " توتنج " في مساء اليوم التالي أثناء عودته من " جيلنج " ، ولكنه وصل متأخرا لأن العصفور كان قد طار من القفص . وفي نفس الوقت – من وجهة نظره – كانت خطته تعمل جيدا ، لدى مسز "دي راشبريدجر " معلومات مهمة تريد أن تدلي بها إلينا ، وماتت السيدة قبل أن تتكلم .. يالها من دراما محبوكة الأطراف ! مثلما نرى في الروايات البوليسية ونشاهد على خشبة المسرح والأفلام !

ولكنني أنا – " هير كيول بوارو" – لم أنخدع .. قال لي مستر

" ساترزويت " إن السيدة قتلت حتى لا تتكلم ووافقت . ومضى " ساترزويت" يردد أن السيدة قتلت قبل أن تخبرنا بما تعرفه .. وقلت : أو بسبب ما لا تعرفه وأعتقد أن ذلك سبب له الحيرة ، وكان ينبغي عليه أن يتنبه للحقيقة ، قتلت مسز " دي راشبريدجر " لأنها لم تكن مرتبطة بأي شكل بالجريمة .. ومن ثم لم يكن أمام سير تشارلز" إلا قتلها .. وهكذا لقيت سيدة غريبة لا تملك الضرر لأحد مصرعها ..

وبرغم هذا النجاح الظاهري الذي حققه سير " تشارلز" ، إلا أنه ارتكب خطأ صبيانيا ! كانت البرقية موجهة لي على فندق " ريتز" ، ولكن مسز " دي راشبريدجر " لم تكن تعرف قط أن لي أدنى صلة بالقضية . وكانت تلك غلطة صبيانية ..

حسن .. عند هذه المرحلة كنت قد عرفت القاتل ، ولكنني لم أكن أعرف بعد الدافع لارتكاب الجريمة الاصلية .

أمعنت التفكير مرة أخرى .. وبوضوح أكثر من أي مرة مضت رأيت أن قتل سير " بارثلوميو سترينج " هو الأصلي .. وأنه مقصود .. ما السبب الذي يدفع سير " تشارلز " إلى قتل صديقه ؟ سألت نفسي ؛ هل تستطيع أن تخمن ؟ ورأيت أنني أستطيع . علا صوت تنهيدة عميقة ، ونهض سير " تشارلز" ببطء وسار نحو المدفأة وظل واقفا هناك ويده مرفوعة إلى فخذه ناظرا إلى " بوارو" .. كانت تشع من عينيه نظرات الازدراء التي يرمي بها الأرستقراطي إحدى الشخصيات الحقيرة ، وقال سير " تشارلز" :

– أنت تملك قوة خارقة للتخيل يا مسيو " بوارو" .. ولست في حاجة إلى أن أقول إن كلمة واحدة مما قلت لا تمت للحقيقة بصلة . وكيف تواتيك الجرأة على أن تعلن على الملأ هذه السلسلة من الأكاذيب .. ولكن تستطيع أن تستمر لأنك تسليني .. ما السبب الذي يدفعني إلى قتل رجل كنت أعرفه منذ الطفولة ؟

نظر " هيركيول بوارو " البورجوازي الصغير إلى الرجل الأرستقراطي ،

واستأنف حديثه قائلا بثبات :

– سير " تشارلز" .. لدينا مثل شائع يقول :" فتش عن المرأة " عثرت على الدافع في هذا المثل .. رأيتك مع مس " ليتون جور " .. كان من الواضح أنك تحبها .. تحبها بتلك العاطفة المشبوبة التي تعصف بقلب رجل في منتصف العمر توحي بها في العادة شابة بريئة .. لقد أحببتها .. ومن رأيي أنها كانت تحبك حبا صادقا ، كان عليك أن تتكلم وما عليها إلا أن ترتمي بين أحضانك ، ولكنك لم تتكلم .. لماذا ؟ " تظاهرت أمام صديقك مستر " ساترزويت " أنك المحب الولهان الذي لايلقى الاستجابة من معشوقته .. تظاهرت بأن مس " ليتون جور " تحب " أوليفر ماندرز " ، ولكنني أقول يا سير " تشارلز" إنك رجل تعرف الدنيا جيدا ، وإن لك تجارب عظيمة مع النساء ، ولم تكن تسمح لأحد أن يخدعك .. كنت تعرف جيدا أن مس " ليتون جور " تهتم بك ، لماذا لم تتزوجها إذن ؟ كنت ترغب في ذلك . " لابد أن هناك عقبة تقف في طريقك .. ترى ما تلك العقبة ؟ يمكن أن تكون لك زوجة بالفعل ، ولكن أحدا لم يتحدث من قبل عن أنك متزوج .. كان الجميع يعرفون أنك عزب .. إذن فالزواج قد حدث في فترة شبابك المبكر ، قبل أن تصبح ممثلا مشهورا .. ما الذي حدث لزوجتك ؟ إذا كانت لا تزال على قيد الحياة ، فلماذا لم يتحدث عنها إنسان ؟ ولو أنكما كنتما منفصلين فأمامكما طريق الطلاق ، لو أن زوجتك كانت كاثوليكية ، أو سيدة لا توافق على الطلاق ، فيمكن أن تستمر في الحياة بعيدة عنك .. ولكن هناك مأساتين لا يعطي القانون حلا لهما .. قد تكون السيدة التي تزوجتها تقضي فترة العقوبة في أحد السجون ، أو ربما كانت نزيلة إحدى مصحات المجانين ولن تستطيع أن تحصل على الطلاق في كلتا الحالتين ، ولو أن شيئا من ذلك حدث أثناء فترة شبابك المبكر ، فمن المحتمل ألا يعرف أحد شيئا ..

" لو أن أحدا لم يكن يعرف ، تستطيع أن تتزوج مس " ليتون جور "

دون أن تقول لها الحقيقة .. ولكن نفترض أن شخصا يعرف – صديق كنت تعرفه طول العمر ؟ كان سير " بارثلوميو سترينج " رجلا شريفا وطبيبا مستقيما ، وربما شعر بالشفقة نحوك ، وربما تعاطف معك لو أنك أقمت مع سيدة علاقة غير شرعية ولكنه لن يقف مكتوف اليدين أمام زواجك من فتاة صغيرة لا ترتاب في شيء .. يجب أن يختفي سير " بارثلوميو سترينج " من الوجود قبل أن تتزوج مس " ليتون جور " .

ضحك سير " تشارلز" ساخرا وقال :

– و ماذا بشأن " بابنجتون " ؛ العجوز ؟ هل كان يعرف هو أيضا كل ذلك ؟ قال " بوارو" بهدوء :

– هذا ما تخيلته في البداية ولكنني سرعان ما اكتشفت أنه لا يوجد دليل يؤكد هذه النظرية ، فضلا عن أن العقبة التي كانت تعترض طريقي كانت لا تزال قائمة .. حتى لو أنك كنت الشخص الذي وضع النيكوتين في كأس الكوكتيل ، فكيف تضمن وصول الكأس المسموم إلى الشخص المعين الذي ترغب في التخلص منه ؟ كانت تلك مشكلتي ، إلا أن كلمة عابرة من مس " ليتون جور" أنارت لي الطريق .. لم يكن السم مقصودا به " ستيفن بابنجتون " بالذات ، وإنما أي واحد من الحاضرين ، مع ثلاثة استثناءات : مس " ليتون جور " التي كنت حريصا على أن تقدم لها كأسا بنفسك ، وشخصك ، وسير " بارثلوميو سترينج " الذي كنت تعرف أنه لا يحب الكوكتيل ، صاح مستر " ساترزويت " باستياء :

– ولكن هذا هراء ! التفت " بوارو" نحوه وقال بلهجة المنتصر :

– أوه .. هناك نقطة غريبة .. وهي أول مرة يصادفني فيها دافع كهذا لارتكاب جريمة قتل .. لم يكن قتل " ستيفن بابنجتون " سوى بروفة أخيرة .

– ماذا تقول ؟

– نعم .. كان سير " تشارلز" ممثلا وقد أطاع غريزة التمثيل .. قام

بإجراء بروفة لجريمته قبل ارتكابها .. كان واثقا أن الشكوك لن تتجه نحوه .. فلم يكن موت أي شخص من ضيوفه يعود عليه بأي نفع ولقد سارت البروفة النهائية على خير وجه .. مات " بابنجتون " لم يشتبه أحد في أن الوفاة غير طبيعية ، وكان على سير" تشارلز" نفسه أن يعرب عن شكوكه حتى تقابل بالرفض من الجميع ، كما أن استبدال الكأس المسموم بآخر لم يلاحظه أحد . كان يريد في الواقع أن يتأكد عندما يرتكب جريمته الحقيقية أن الأمور سوف تجرى كما يريد ..

" إلا أن الامور كما تعرفون سارت في خط مختلف بعض الشيء .. كان أحد الأطباء موجودا في المناسبة الثانية واكتشف في الحال أن الوفاة حدثت نتيجة للسم ، وكان على سير "تشارلز" أن يؤكد على حقيقة موت " بابنجتون " يجب أن يفترض الجميع أن موت سير " بارثوميو" جاء كنتيجة للوفاة الأولى ، ويجب أن يتركز الانتباه على الدافع لقتل " بابنجتون " ، وليس على أي دافع لإزاحة " بارثوميو " من الطريق . "

ولكن شيئا غاب عن إدراك سير" تشارلز" .. الرقابة الجادة لـ مس "ميلراي" .. كانت مس " ميلراي " تعرف أن مخدومها يجري بعض التجارب الكيميائية في القلعة التي تقع في أطراف حديقته ، كانت تسدد ثمن فواتير شراء محلول الرش ، وأدركت اختفاء قدر كبير من ذلك المحلول ، وعندما عرفت أن مستر" بابنجتون" مات مقتولا بسم النيكوتين ، قفز عقلها الذكي في الحال إلى أن سير" تشارلز" استخرج المحلول النقي للنيكوتين من محلول رش الحديقة .

كانت مس "ميلراي" حائرة لا تدري ماذا تفعل، لأنها كانت تعرف مستر" بابنجتون " منذ طفولتها ، وكانت غارقة إلى أذنيها كامرأة دميمة في حب مخدومها ، وقررت في النهاية تحطيم الأجهزة التي يستخدمها سير" تشارلز" في تجاربه ، وكان سير تشارلز نفسه شديد الثقة بنفسه إلى درجة أنه لم يفكر في التخلص من تلك الأجهزة وذهبت مس "ميلراي" إلى " كورنوول " وتبعتها . ضحك سير " تشارلز "

مرة أخرى ، وقال باحتقار :

- هل تجد دليلك في مجموعة من الأجهزة الكيميائية القديمة ؟ قال " بوارو" :

- كلا .. هذا هو جواز سفرك يبين تواريخ سفرك من إنجلترا وعودتك إليها ، وهناك حقيقة أخرى .. في إحدى المصحات العقلية في "هافرتون" تنزل سيدة تدعى " جلاديس ماري ماج " ، زوجة " تشارلز ماج " . كانت " ايج" صامتة طوال تلك الفترة تستمع بذهول إلى ما يدور حولها من حديث ، ولكنها تحركت في تلك اللحظة من مكانها ، وأطلقت ما يشبه صرخة الأنين ، والتفت سير " تشارلز" نحوها قائلا :

- "ايج" .. لا أظن أنك تصدقين حرفا واحدا من هذه القصة الملفقة ؟

ضحك الممثل ويداه ممدودتان أمامه ، وتقدمت " ايج كالتي تسير تحت تأثير التنويم المغناطيسي ، وقبل أن تصل إلى مكان وقوفه ترددت وتطلعت حولها كأنها تبحث عن العون ، ثم سقطت فجأة وهي تصرخ وركعت تحت ركبتي " بوارو" قائلة :

- هل هذا صحيح ؟ هل هذا صحيح ؟

وضع " بوارو " كلتا يديه على كتفيها وقال بثبات :

- نعم صحيح يا مدموازيل . لم يعد يسمع في الحجرة سوى بكاء "ايج" ، وبدا كما لو أن العمرقد تقدم بسير " تشارلز" سنوات وسنوات ، وقال : - عليك اللعنة !

لم يسبق للممثل طوال حياته أن نطق بمثل هذه الكلمات محملة بكل هذا القدر من الكراهية ، ثم اتجه نحو الباب وغادر الحجرة ..

وقف مستر" ساترزويت " ولكن " بوارو" هز رأسه وهو لا يزال يربت برفق على الفتاة الباكية ، وقال " ساترزويت " معترضا :

- سوف يهرب . هز " بوارو" رأسه وقال :

- كلا .. إنه لن يختار سوى باب الخروج .. أما الباب البطيء أمام أعين العالم ، أو السريع الذي يطيح به من فوق خشبة المسرح .

فتح الباب بهدوء ودخل أحد الأشخاص .. كان " أوليفر ماندرز " قد زال عن وجهه التعبير الحانق على الحياة ، وكان وجهه يبدو سعيدا .. انحنى " بوارو " نحو الفتاة قائلا :

-انظري يا مدموازيل ..ها قد جاء صديق لكي يصحبك إلى البيت .

وقفت "ايج" ونظرت بتردد نحو " أوليفر" ثم خطت نحوه ببطء قائلة :

-"أوليفر" .. خذني إلى أمي .. أرجوك أن تأخذني إلى أمي .. لف ذراعه حول خصرها ورافقها نحو الباب قائلا :

- نعم ياعزيزتي .. سوف أرافقك إلى البيت .. هيا بنا . كانت ساقاها ترتعدان إلى درجة كادت تعجز معها عن الحركة ، وسار " ساترزويت " بينهما ، وعند ما وصلت " ايج" بالقرب منه قالت :

- أنا بخير ..

أومأ " بوارو " برأسه نحو " ماندرز " الذي عاد إلى الحجرة وقال له :

- كن لطيفا معها ..

- سوف أفعل ياسيدي .. إنها كل ما يعنيني في العالم .

- أنت تعرف ذلك .كان حبي لها يملؤني بالمرارة والسخرية .. ولكن سلوكي سوف يتغير منذ اللحظة .. أنا على استعداد لمواجهة الحياة .. وربما استطعت في يوم من الأيام -

- أعتقد هذا .. أعتقد أنها بدأت تهتم بك .. إن عبادة البطل تمثل خطرا داهما للشباب .. سوف تقع " ايج" ذات يوم في حب صديق وعندئذ يكون حبها قائما على أساس من الصخر . .

تابع "بوارو" الشاب بنظرات حانية وهو يهم بمغادرة الحجرة .

وعاد "ساترزويت " في تلك اللحظة ، وقال :

- مسيو "بوارو" .. لقد كنت رائعا .. كنت رائعا بحق .

- لم أفعل شيئا .. لاشيء .. مأساة ثلاثية الفصول ولكن الستار قد أسدل عليها الآن .

- هل تسمح لي .؟

- نعم .. أنت تريد مني أن أشرح لك شيئا معينا ؟

- نعم .. هناك أمر واحد أريد أن أعرفه .

- أنا مستمع إليك .

- لماذا تتحدث الإنجليزية بطلاقة في بعض الأحيان ، وفي مرات أخرى يحدث العكس ؟

ضحك "بوارو" وقال :

- آه . سوف أشرح لك الأمر .. صحيح أنني أستطيع أن أتكلم اللغة الانجليزية الفصحى .ولكن التحدث باللغة العادية له ميزة كبرى .. إنه يدفع الناس إلى التقليل من شأنك .. يقولون : هذا أجنبي .. إنه لايستطيع التحدث بطلاقة .. وليس من سياستي أن أخيف الناس إنني أدعوهم للتعاطف .كما أنني أبالغ ! هكذا ترى أنني أجعل الناس يفقدون حذرهم ، بالإضافة إلى أن تلك قد أصبحت عادة ..

قال " ساترزويت " ضاحكا :

- يا إلهي .. هذا هو سلوك الثعبان الماكر . سكت "ساترزويت" هنيهة ثم قال : - أخشى أن أقول إنني لم أفعل شيئا فيما يتعلق بكشف الغموض عن هذه القضية .

- على العكس ..لقد كشفت لي عن ملاحظة سير " بارثوميو" حال الخادم .. لقد كنت في الواقع تستطيع أن تحل القضية لولم يكن لديك رد الفعل الذي يوجد عند المتفرج وهو يشاهد العمل الدرامي .. أشرق وجه " ساترزويت " ، وصاح :

- يا إلهي ..لقد أدركت الحقيقة الآن ..ذلك الوغد كان يجرب بكأس الكوكتيل المسموم .. كان أي واحد منا معرضا لأن يشربه .. ربما شربته أنا!

-هناك احتمال آخر أكثر سوءا لم تفكر فيه ..

- وما هو ؟

- أن أكون أنا الضحية ..

- تمت -